# ليلة سقوط الرئيس

سامي كمال الدين

ليلة سقوط الرئيس

سامي كمال الدين

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

رقم الإيداع : ٢٠١١/٤٩٥٥

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٣٧- ١

# ليلة سقوط الرئيس

سامي كمال الدين

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار أكتب للنشر والتوزيع

## اعتبرها مقدمة

## عبد الواحد الجنايني

بسبوسة .. باس بوسة

بت يا نوسة .. يا نوسة شايلة البسبوسة

واللـــه احلويتي وكبرتي وبقيتي عروسة

بسبوسة .. باس بوسة

نعم حين أعدت قراءة ما كتبتُ عن فساد مبارك وأشـــباه رجاله كنت بحاجة .. عفوًا بحاجتين :

الأولى : أن أستمع إلى هذه الأغنية لأتخلص من الطنين الذي يزن في أذني عمال على بطال .. الفـــساد .. Corruptio.. جمال .. عزمي .. سوزان .. صفوت .. موافي ..سعادحسني.. نظيف .. شريف .. عفيفي .. سرور .. مبارك .

ده إيه الأسماء التي تفرح هذه والتي سببت لنا كـــل هـــذا العذاب، ثم إنها تُكذب بالثلاثة أن كل إنسان لـــه مـــن اسمـــه نصيب !

الحاجة الثانية : أن آكل بسبوسة لأتخلص من المرارة الـــتي ظلت في جوفي سنوات، وممكن لكي أكافئ نفسي، أو بصراحة

أنظر إلى نفسي وهي تلوك شيئًا جميلاً وتقول الحمد لله، فأنا طوال كتابة هذه المقالات في جريدة " المصريون الإلكترونية من عام ٢٠٠٨ وحتى مارس ٢٠١٠ ، وأنا أنتظر بعد كل مقالة أن يأتي ضابط ضخم الجثة ومعه اثنان من أمناء الشرطة الذين لم يجدوا أحدًا لكي يربيهم ومع كل واحدٍ منهما عصا يضعها في مؤخرتي مثلما فعلوا مع عماد الكبير .

طوال الوقت وأنا خائف من العصا، و لم أنتبه إلا بعد أن سقط مبارك في ١١ فبراير ٢٠١١ ، إلى أنهم يضعون العصا في مؤخرة ٨٠ مليون مصري كل يوم، ونحن نسكت، ونقول هانت .. خلاص فاضل تكة، لكن التكة طوّلت قوي !

أنا فرحان .. لأ .. حزين .. لأ .. مبسوط .. لأ .. متوتر .

لا أعرف نوع وكم المشاعر التي انتابتني بعد ثورة شباب ٢٥ يناير ٢٠١١ .. بل إن الأيام تاهت مني فلم أعد أتذكر جمعة الغضب من جمعة الرحيل، ولا أتذكر اليوم الذي حاولوا خطفي فيه في تاكسي من شارع شريف وأنقذني حلاق شارع شريف وفتاة تعمل، لا أعرف تعمل أين، حين صرخت في الشارع " يا شباب .. يا شباب "، و لم أعد أتذكر موقعة الجمل، حين أقبل بلطجي .. قول عربجي فوق حصانه، يلوح بالشومة التي خليت منها فضربت الهواء، عملت نفسي من المشاة الرماة فتشبثت بالشومة، فإذا به يضربني بحذائه في

وجهي، ارتميت على الأرض، وأفقت على شباب من جماعة الإخوان المسلمين ومن الألتراس يوقعونه عن حصانه ويضربونه، هرولت إليه، قذفته بحذائي في بطنه وأنا أقول جادًّا وبعلوْ صوتي:

يا ابن الـ ..... حسستني إني عبد الواحد الجنايني في "رد قلبي "!

لا أعرف لماذا ظل شباب الإخوان والألتراس يضحكون، بينما كلي ألم وبعضي يسيل منه دم .

هل أحكي على كل الأيام وكل الأفعال، هل أتحدث عن بطولاتي الزائفة . هل أقول إنني صمدت أمام قنابل المولوتوف وأنا أول واحد كان يجري ويختبئ في مداخل عمارات وسط البلد الفخيمة ويكح لربع الساعة!

هل أحكي عن قصص وحكايات تحتاج إلى مجلدات، الحقيقة أنا لا أستطيع أن أحكي عن شيء، ولا يعنيني شيء سوى أن مصر عادت لها مرة أخرى عزتها وكرامتها وأن بها رجالاً العالم كله أصبح يتحدث عنهم .

لا عشرات الكتب تكفي للحديث عن الشهداء، ولا عشرات الأقلام تستطيع وصف نظرة الشهيد بسيوني الحائرة والمدهشة، ولا ابتسامة الشهيدة سالي زهران، موناليزا ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، والتي لم يعجبني كلام والدتها .

نحن كذابون .. مدّعون، الحقيقيون هم الـ ٣٦٠ شهيدًا الذين أحبوا مصر حبًا حقيقيًا، حبًا إلى درجة الحلول .. التوحد.. الجمال .. نحن أحببنا مصر، لكن كاذب من يقول إننا أحببناها مثلهم .

أضيف كذلك، أن كل واحد عنده قصة وحكاية من الـ ٢ مليون الذين كانوا في ميدان التحرير، وكلها قصص مختلفة، وكل إنسان يرى المسألة من وجهة نظره، وكل واحد ارتبطت معه الثورة بحكاية خاصة قصة أننا " خونة " وبنقبض من أمريكا وحماس وإسرائيل، وأنهم كل يوم كانوا يقدمون لنا وجبة كنتاكي في الميدان، مع أننا كنا نعيش على ساندوتشات الجبنة البيضاء والبيض المسلوق، لكن ماذا تقول في الناس البيض!

وهذا أغلبه بسبب الإعلام المصري بقيادة الجنرال أنس الفقي، وزير إعلام بدرجة عميل، وأحمد الله أنني اكتشفته مبكرًا حين كتبت عنه في ٨ /٢/ ٢٠٠٨ ، مقالي "جائزة القنفذ النحاسي لأنس الفقي " لينسى أصدقائي الذين اتفقوا معي أن أعد برامج في التليفزيون المصري الفكرة من الأساس !

ولي في قصص الثورة حكايات لها معان متعددة، البداية منها أنني كنت أسكن في شارع الملك فيصل ( ملك للتفخيم من

الشارع، من سكن فيه ذات يوم يعرف مقصدي ومن سيسكن فيه سوف يعرف إلا إذا اختلف الأمر بعد الثورة )!!

المهم أن جارًا لنا يؤم الناس ويخطب فيهم الجمعة كل أسبوع دخل معي في معركة حامية الوطيس لصالح مبارك وأخبرني أن كل البنات اللواتي يشاركن في ثورة ٢٥ يناير ويعسكرن في ميدان التحرير " عاهرات "!

- ليه يا مولانا ؟

- ألا تراهن على الشاشات بشعورهن وصدورهن تهتز وهن يهتفن يسقط حسني مبارك .

قلت له : واضح أنك بتحب الصدور يا مولانا ومنتبه ليها.

- أنا متزوج اثنتين

قلت له : يبقى فعلًا بتحب الصدور، ثم يا مولانا أين " قذف المحصنات الغافلات " فأفجعني أكثر " هؤلاء لا محصنات ولا غافلات لأنهن بشعورهن "

قلت له تأدبًا : يا مولانا هناك عدد كبير من الساقطات لسن محجبات فقط ولكنهن منتقبات .. المسألة لا علاقة لها بالشكل .

اذهل .. تأملني وكأنه لأول مرة يراني ثم بعد دهر من الصمت قال : إيه ؟

أعدت عليه ما قلته بالحرف، وكأنه لا يعرف، وجدته يجيد بالحديث ليخبرني بأنه شارك في حرب ١٩٧٣ ، وخرج بعد ذلك بسنوات من الجيش في رتبة عقيد وأنه كان يشرب " بوله " أثناء الحرب .

قلت له : يا مولانا شكرًا لكم جيل النصر، لكن أليس غريبًا أن واحدًا من أهم معالم الإسلام الوقوف في وجه الحاكم الظالم.. ألم تسمع ما قاله الشيخ يوسف القرضاوي على قناة الجزيرة، كيف شربت بولك ذات يوم لأجل تحرير الأرض وتركت مبارك يحتلنا ثلاثين عامًا !

أجابني بأن مبارك رجل عظيم وابن المؤسسة العسكرية، قلت له الحاجة الوحيدة العظيمة لمبارك الفاسد، أنه أنزل الجيش المصري إلى الشارع في ثورة الشباب ليكشف لنا أن لدينا جيشًا عظيمًا وجنودًا بالفعل من خير أجناد الأرض وليسوا مثل زبانية حبيب العادلي وزير داخليته .

قبل أن يتركني مولانا كشف لي عن سر غيظه من الشباب دون أن يدري قائلًا : شباب إيه وميدان تحرير إيه وثورة إيه إذا كان كل الشباب ده بيشرب بانجو، وطول الوقت قاعد بيفسد على الإنترنت، وإذا كان أنا من الأساس حين أدخل بيتي أجد ابني واضعًا رجلًا على رجل والسيجارة في فمه ولا ينزل رجله ولا يعتدل حين أدخل .

تركته وذهبت ونظرت إليه خلفًا وقلت له :

– المسألة مسألة تربية مش مسألة شباب .. يا مولانا .

بقيت كلمة :

لست من هواة من يكتبون عن ساسة ومسئولين بعد أن يتركوا مناصبهم، إنني أرفض الكتابة عن شخص هجومًا بعد أن توضع رخامة على قبره، ليس في الأمر ادعاء بطولة، لكنها أخلاقيات.

لذا فهذه الكتابات كتبت وأولئك المسئولون متربعين على عروشهم في مصر التي كانوا ينحرونها كل يوم بدم بارد، ولكني لن أكتب شيئًا عن عصر الرئيس السابق محمد حسني مبارك – ( حلوة سابق دي لها طعم مختلف وأنا بانطقها ) – بعد ذلك .. الحمد لله في مصر أشياء أجمل بكثير من حسني مبارك وبطانته .

## ليلة سقوط الرئيس

تغرغرت عينا الرئيس مبارك بالدموع وهو يخرج من الباب المؤدي لقصر العروبة في السادسة مساء يوم ١١فبراير ٢٠١١، ويصعد في طائرة هيليوكبتر من ثلاث طائرات هبطت داخل القصر الرئاسي في مصر الجديدة، لكن دموعه لم تسقط، كانت سوزان تعانق بذراعها ذراعه، لا تدري أياً منهما يتوكأ على الآخر، بينما كان جمال خلفهما لا يستطيع أن يكبح دموعه .

ربت علاء على كتف أخيه حين حدق في اللاشيء بينما تمتلئ أذناه بهتاف الآلاف أمام قصر العروبة " يا جمال قول لأبوك، كل الشعب المصري بيكرهوك ".

مضى أكثر من ستة عشر يوما على بقاء الرئيس في قصر العروبة، لم يعبر الشارع ليذهب إلى بيته رقم ١١ في شارع الدكتور حليم أبوسيف، فمنذ اشتعلت ثورة ٢٥يناير ٢٠١١ والرئيس يعيش على فوهة من قلق، كانت آخر مرة وجد فيها في بيته يوم الخامس والعشرين، وفي السادسة والنصف صباحاً شوهد الرئيس يعبر إلى قصر العروبة ليعود بعد ذلك بسبعة عشر يوماً إلى شرم الشيخ ولا يرى جدران هذا البيت مرة أخرى .. لقد نام في الثانية عشرة صباحاً واستيقظ مبكراً

كالعادة ولكن قبل موعد صحيانه بساعة ( في الخامسة صباحاً ) وأصر على تناول إفطاره ثم دلف إلى قصر العروبة و لم يخرج منه إلا حين خرج من مصر كلها . في هذا المنـــزل أقام مبارك وقد أجّره قبل ثلاثين عامًا حيث كان قبل ذلك مقرًا لإقامـــة مسؤول في اتحاد الجمهوريات العربية الذي ضم مصر وسوريا وليبيا عام ١٩٧١، وقد أجر مبارك هذا المنـــزل باسمه ولـــيس بصفته كنائب لرئيس الجمهورية أو كرئيس جمهورية فيما بعد.

المنـــزل المكون من ثلاثة طوابق، انتقل الـــرئيس مبـــارك للإقامة فيه من شقته في شارع عبد العزيز فهمي بمصر الجديدة أيضًا، وهي العمارة التي كان يقيم فيها الخـــبراء الـــسوفيت في السبعينيات قبل أن يقرر الرئيس الـــسادات الـــتخلص منـــهم وطردهم، ومن ثم قام بعض أفراد الجيش بتأجير شقق في هـــذه العمارة، وكان وقتها قائدًا للقوات الجوية .

في كل طابق من طوابق المنـــزل يوجد أوفيس يشرف عليه " أحمد مصطفى " وهو طباخ الرئيس مبارك منذ أكثـــر مـــن ثلاثين عامًا .

أما قصر العروبة فإن مساحته تتجاوز الـــ ١٥ ألـــف متـــر ويطل على عدد من القصور الفخمة مثل قصر سعاد الـــصباح وقصر الملك فيصل، وهو فيللا من طابقين تتوســـطه حديقـــة

كبيرة المساحة، وبه بعض المباني الإدارية والأمنية وما لا يعرفه الكثيرون أن الرئيس مبارك قد اشترى هذا القصر وأصبح ملكًا له، مع أن المادة ٨١ من الدستور تمنع أن يشتري أو يستأجر الرئيس شيئاً من الدولة، فكيف اشترى هذا القصر ؟!

معلومة الشراء ليست من عندي لكن صرح بها اللواء منير ثابت شقيق سوزان مبارك وصهر الرئيس حيث قال في برنامج " احتراق " الذي كان يقدمه الإعلامي عمرو الليثي على شاشة التليفزيون المصري إن الرئيس مبارك اشترى المقر الذي يقيم فيه الآن، وأعتقد أنه لم يكن يقصد بيت الرئيس في شارع حلميم أبو سيف ولكنه يقصد " قصر العروبة " لأن الحديث كان يدور حول قصر العروبة .

بدا زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية، والرجل القوي في ملف التوريث منكسراً، مطاطئ الرأس، والرئيس وأسرته وحراسته الخاصة يصعدون إلى الطائرة، ولا أدري لماذا لم يصعد معهم زكريا عزمي مع أنه لحق بالرئيس إلى شرم الشيخ بعد ذلك بثلاثة أيام ؟

لم يلمح جمال عبد العزيز سكرتير مبارك وأحد رجال النظام الذي لعب دوراً كبيراً مع رجال أعمال حققوا نفوذاً وسيطرة على مشروعات لا يستحقونها، بل ما إن يدخل كبير سكرتارية

الرئيس أو زوجته السيدة ماجدة البنداري في مـــشروع مـــن مشروعات رجال الأعمال حتى يتحـــول صـــاحبه إلى الثـــراء الفاحش، وقد يخسر السقط واللقط – كما يقول المثل الشعبي – مثلما شاركت أحمـــد بهجـــت في مدينـــة " دريم لانـــد " وانسحبت بعد أن حصلت على ما تريد.

كان عمر سليمان هو الوحيد الذي تبدو عليه القوة محاولاً مداراة خيبته وخسرانه لمنصب نائب الرئيس الذي لم يدم فيـــه أكثر من أسبوع، تبادل ومبارك عدة نظرات – حسب وصف طاقم الأمن في قصر العروبة – لا أحد يستطيع أن يفـــسرها، وإن جاءت في تفسير بعض موظفي قصر الرئاسة علـــى أنهـــا نظرات لوم وعتاب، بأن مبارك لم يكن يعرف كل ما يحـــدث في مصر، لكن يبدو من المشهد الأخير أن مبارك كان يعلم كل شيء في مصر، وعلى دراية جيدة بما يفعله رجال أعمال جمال مبارك وشلته، وكان هذا محبباً إلى قلبه حيث يسميهم فرحـــاً الـــ " ولاد "، ويعاملهم كأولاده، فكلما التقاهم بدا فرحاً بهم وسعيداً بوجودهم تحت عينيه وبجوار ابنه جمال الرئيس المنتظر .

في الأيام الأخيرة كان يبدو مبارك كـــ "الجنرال في متاهته " – حسب رواية ماركيز الشهيرة – لكنه لم يدرك أبداً أنـــه في مرحلة " خريف البطريرك " – حسب رواية ماركيز الـــشهيرة أيضاً .

لم يستطع الدكتور محمد علي الديب، رئيس الفريق الطبي للرئيس مبارك، السيطرة على الرعشة التي أصابت يد الشاب جمال مبارك في اليوم الأخير لحكم أبيه، كما أنه لم يستطع مغادرة القصر الرئاسي طوال السبعة عشر يوماً التي بقي فيها الرئيس داخل قصر العروبة، ولعل جمال كان أكثر من صدم و لم يتوقع على الإطلاق أن يغادر مصر بهذه الطريقة، كان لديه إحساس تام بأنه يحلم، بأن ما يشاهده كابوس سوف يصحو منه .. مؤكد سوف يفيق منه

لم يصدق و لم نكن نحلم.

على الرغم من أن كل شيء طوال ١٨ يوماً من ٢٥ يناير، وحتى ١١فبراير ٢٠١١ ،كان يؤكد سقوط الرئيس مبارك أو على الأقل يؤكد سقوط شرعيته – حسب محمد حسنين هيكل – إلا أن الرئيس كان يراهن على الثلاثين عاماً التي حكم فيها مصر وعلى رجاله الذين بدأوا يتهاوون واحداً وراء الآخر .

في ليلة ٢٥ يناير كانت الدعوة للخروج للتظاهر غداً تشتعل عبر صفحات موقع التواصل الاجتماعي Face book وتويتر، الكل يطالب بالنزول يوم ٢٥ يناير يوم عيد الشرطة، وهو اليوم الذي حقق فيه جهاز الشرطة الانتصار على المحتل .

حين علمت سوزان مبارك بما يحدث في مصر ، حيث كانت تجري بعض الفحوصات الطبية في لندن، في البداية لم يتزايد قلقها ، لكن الذاكرة القريبة كانت تنقر على رأسها بخطاب بن علي وهروبه من تونس، وتذكرت للحظات أنها قد تعلّق وزوجها في الهواء مثل بن علي، لكنها كانت تعرف أن لديها قبضة من حديد على مصر وشعبها وأنها تستطيع أن تدهسه إذا فعل مثل تونس، لذا عادت بسرعة إلى مصر، لكنها لم تعد إلى بيتها، حيث عرفت أن الرئيس وجمال وعلاء تسبقهم زوجتاهما قد انتقلوا إلى قصر الاتحادية .

حين دلفت سوزان إلى قصر العروبة وجدت الجو ملغماً والجميع أعصابه مشدودة، فقد وجدت ابنها علاء يعنف سكرتيره الشخصي " جلال أبو القاسم " وعلى الرغم من محاولاتها التأكيد على أن الأمور عادية فإن كل ما يحيط بها كان يؤكد غير ذلك، ولعل أكثر ما ضايقها وأزعج مبارك بشدة إحاطة القصر بالسلك الشائك .

لم يخرج مبارك منذ دخل القصر يوم ٢٦ يناير إلا في يوم ٣٠ يناير، حين ذهب إلى غرفة إدارة الحروب لنراه عبر شاشات الفضائيات نقلاً عن التليفزيون المصري يدير غرفة العمليات ضد شعبه، وكأنه سيدخل في حرب ضد الشعب المصري .

مرت الساعات بطيئة مملة لم يكسر جمودها إلا مهاتفات للرئيس مبارك من الملك عبد الله ومن رئيس وزراء إسرائيل، لقد جنبه الرئيس الأمريكي باراك أوباما تماماً ورفض أن يتحدث معه بعد خطابه الأخير، دق أوباما بيده على المكتب الذي كان يقف خلفه في البيت الأبيض، وقال جملته التاريخية " الآن "، وهي تعني رحيل مبارك فوراً، ثم بدأ أوباما في اتصالات مع الجنرالات المحيطين بمبارك، فقد عرف أن مبارك لا يدير الأمور في قصر العروبة، وأن هناك " الهانم " وابنه جمال .

تصاعدت إمبراطورية جمال مبارك وكان على استعداد لقطع كل الطرق التي تحول دون وصوله إلى " الكرسي "، لذا فقد حاول بكل الطرق أن يؤخر قرار تنحّي والده، وحين فشل حبيب العادلي في الحفاظ على هذا النظام الفاشتشي بالحديد والنار كما اعتاد، قرر جمال تقديمه كبش فداء محاولاً الضحك على الشعب المصري الذي إذا كان يعرف أن حبيب العادلي سفاح فإن السادة في قصر العروبة لديهم دكتوراة في الإجرام، لذا رفض الشعب أن يستجيب لمطلب آخر سوى رحيل مبارك ونظامه، لكن من غير الصحيح ما تردد عن أن هناك مشادة تمت بين جمال وشقيقه علاء في قصر العروبة حين حال جمال من أن يوقع أبوه على قرار التنحي، إذ إن الرئيس مبارك من

الأساس لم يوقع على أي قرارات تفيد بتنحيه عن السلطة أو حتى تخليه عنها، كما أن هذا القرار لم ينشر في الجريدة الرسمية.

لم تحدث مشادات، كانت — حسب مصدر موثوق منه — أفكارا تتضارب ورؤى تطرح للخروج من المأزق بشكل لائق، كان جمال أكثرهم تفكيرًا وحديثًا واتخاذ قرارات، وكانت سوزان هي المحرك الرئيسي لهذه الجلسة التي ضمت مبارك الذي كان صامتًا لا يتكلم إلا بين الفينة والفينة، وحين يوجه الكلام إليه كان يقول ما رأيك يا فلان، وكان فلان هو المشير طنطاوي واللواء عمر سليمان .

كانت خديجة وهايدي زوجتا جمال وعلاء تتناقشان وهما تسمعان كلمة من هنا وكلمة من هناك، بينما أصوات الشعب تتواصل إلى آذانهما كما تصل إلى كل من في القصر .

كان يوم ١١ فبراير بالنسبة لهم كئيب " Abdeen ".بما تعنيه الكلمة في مدلولها الإنجليزي، ارتسمت في ذاكرة مبارك صور عديدة منها تزاوج السلطة والمال أو المسئولين السابقين في الدولة الذين ضحى بهم ومسئولي الحزب الوطني ولجنة السياسات، تداخلت الصور في ذهن الرئيس، كادت تصبح مشوشة، لولا انتباهه لصوت الثوار المخترق لجدران قصره الذي عزل نفسه فيه في الأيام الأخيرة إلا من أقرب الناس إليه .

أما خديجة وهايدي كانا يتمنيان الخلاص من حكم مصر والجاه والسلطان بأي شكل في هذه الساعات التي مرت عليهم كأنها دهر، وعلاء كان يحاول بكل الطرق إيجاد مخرج لأموالهم ولعدم الكشف عن تاريخ هذه العائلة، بينما جمال على الرغم من كل ما حدث وكل من استشهد ورفض معظم دول العالم له ولأبيه كان لديه أمل، كان يدرك أن هناك شيئاً سيتغير ويحول دون ما يحدث، بل أكاد أشك أنه كان يكاد أن ينطقها : هل من الممكن أن يقبلني الشعب لو تولّيت الرئاسة في هذا الوقت وفعلت لهم كل ما يريدون .. كل ما يريدون، حتى لو كان ثروة عائلة مبارك بالكامل !

وفي تقرير لوكالة " أسوشيتد برس " صدر في ١٣ فبراير، أكدت أن مبارك " كان سيعلن استقالته يوم ١٠ فبراير، وأنه لم يكن ينظر أبعد مما كان يبلغه به نجله جمال ولذلك كان معزولاً سياسيًا وكانت كل خطوة يتخذها محدودة جدًا، وفي غير أوانها وسبق وقتها"، والحقيقة أن مبارك كان يلعب على أن الشعب المصري طيب، يسامح وينسى، لذا أعتقد أن النصف ساعة التي تحدث فيها مع أوباما هاتفيًا طلب في نهايتها من أوباما أن يمهله لأنه يثق في شعبه ويعرفه جيدًا ويعرف أنه سوف يستجيب له .

وقد أكدت الـ " اسوشيتد برس " أن جمال عدل في خطاب والده أكثر من مرة قبل تسجيله وبثه، وبالفعل قام

جمال بذلك ولعب أنس الفقي دورًا كبيرًا في خطابات مبارك الأخيرة، لكن الـ " صنداي تليجراف " البريطانية ذكرت أن مبارك استغل الـ ١٨ يومًا من ٢٥ يناير وحتى ١١ فبراير لتحويل ثروته إلى حسابات بالخارج لا يمكن تعقبها، وكان مصدر الـ " صنداي تليجراف " استخباراتيا غربيا – حسب قولها – وزادت " نحن على علم بأن أحاديث عاجلة جرت داخل عائلة مبارك حول كيفية الحفاظ على تلك الأصول ونعتقد أن مستشاريها الماليين نقلوا بعض الأموال في جميع أنحاء العالم وفي حال كان لديها مال حقيقي في زيورخ فقد يكون نقل من هناك الآن ".

" مبارك أراد تحويل أصول عائلته إلى دول الخليج العربية حيث تملك استثمارات ضخمة والأهم من ذلك علاقات طيبة، وقد ذكرت كل من الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية على أنهما المحطة النهائية لمبارك وعائلته ".

في نهاية تقريرها المطول قالت " الصنداي تليجراف " :

" لقد عاش جمال نجل الرئيس المصري في منزل من ستة طوابق في منطقة بلغريفيا وسط لندن وعمل في القطاع المصرفي ثم قام بتأسيس شركة استثمار واستشارات مالية في لندن، وقام مبارك باستخدامه وأخاه علاء كوسطاء للشركات الساعية إلى القيام بأعمال تجارية في مصر ".

لقد قرر المشير حسين طنطاوي واللواء عمر سليمان وضع كل الحقائق أمام الرئيس مبارك عرضوا عليه غصباً عن جمال ووزير إعلامه أنس الفقي ما يحدث في مصر، قدموا له تصوير الطائرات الهليكوبتر لثورة الشعب المصري في الميادين وأطلعوه على انهيار اقتصاد البلد، كان الرئيس مبارك عنيدًا ويريد أن يظل بطلاً حتى اللحظة الأخيرة، لكنه أدرك بتاريخه الطويل وخبرته العسكرية أن هناك انقلابًا مؤكدًا من قبل الجيش، وهو ما أطلقت عليه الولايات المتحدة الأمريكية " الانقلاب الناعم"، ولكني أميل إلى تسميته " الانقلاب برغبة الرئيس "، فالرئيس أدرك أنه إن لم يتنحَ فإن الجيش لن يتحمله ولن يبيع الشعب لأجله، خاصة أنه أحس بحدة في مناقشة الجيش له، وفي نقل المشير طنطاوي للآراء المختلفة مع قادة الجيش التي تطالب – كلها – مبارك بالتنحي .

هبطت طائرة داخل قصر العروبة، نظرنا إليها نحن الواقفين في مواجهة قصر الفرعون، بعد ربع الساعة وتقريبًا في السادسة من مساء يوم الخميس رأيناها تحلّق في الجو، قررت العودة من أمام قصر العروبة إلى ميدان التحرير، تجاوزت المظاهرات لأجد تاكسيا وحيدا قادما، لوّحت له بيدي، توقف قبل أن أقول له " التحرير " ، أوقفني بإشارة من يده، حيث سمعت عمر سليمان وهو يقول :

" أيها المواطنون..

في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد " وما إن قـــال " قرر الرئيس محمد حسني مبارك تخليه ...." وقبـــل أن يكمـــل صرخت .. بكيت .. رقصت ، صعدت إلى التاكسي متوجها إلى ميدان التحرير عبر كوبري أكتوبر ، سألت السائق عن اتجاه القبلة ، أخبرني أنه مسيحي ، لكن من الممكن أن يـسأل لي ، وقف لي في منتصف كـــوبري أكتـــوبر ، ســـجدت طـــويلا وشكرت الله كثيرا ، ثم هبطت منه في مترل ميدان عبد المـــنعم رياض ، وأنا أواصل صراخي "تحيا الحرية .. تحيا مصر" .

## أفعل التفضيل في مصر ..!!

**• من الأفضل لحكم مصر ؟**

- الرئيس مبارك .
- الإخوان المسلمين .
- الناصريون .
- إسماعيل يس .

**• من أفضل رئيس وزراء في الحكم المبارك ؟**

- أحمد نظيف .
- عاطف عبيد .
- علي الكسار .
- ليلى محمد .

**• من أفضل كاتب في مصر ؟**

- ممتاز القط .
- محمد علي إبراهيم .
- أسامة سرايا .
- سمير رجب .

**● من التلفزيون الرائد :**

أفضل قناة هي ؟

- النيل للمنوعات .
- النيل للرياضة .
- النيل للأخبار .
- النيل للدراما .
- النيل للصرف الصحي .

**● من أفضل لاعب في مصر ؟**

- فتحي سرور .
- كمال الشاذلي .
- أحمد عز .
- زكريا عزمي .
- حيدر بغدادي .

**● من الأفضل نفاقًا للعصر الحالي ؟**

- منير لوقا بباوي ١ .
- منير لوقا بباوي ٢ .
- السيد راشد .
- تامر أمين .

**● ما هي المرأة الحديدية المفضلة لهذا العصر ؟**

- سوزان مبارك .
- عائشة عبد الهادي .
- ماري منيب .
- مدام بوفاري .

**● من هو أفضل عالم ببواطن الأمور في مصر ؟**

- كوندليزا رايس .
- أيمن نور .
- أحمد الصباحي .
- الدكتور شديد .

**● من الأفضل لبطولة فيلم عن عصابة حزب ميدان عبد المنعم رياض؟**

- زكي رستم .
- محمود المليجي .
- إستيفان روستي .
- توفيق الدقن .

**● فيلم عن قصة حياة إستيفان روستي .. أفضل من يلعب دور البطولة :**

- محمد كمال .

- مفيد شهاب .

- علي الدين هلال .

- مرتضى منصور .

● **ما هو أفضل مكان يرسل إليه المواطن شكواه ؟**

- كوبري القبة .

- كوبري الليمون .

- كوبري المحور .

- كوبري الناموس .

● **ما أفضل عنوان ترسل إليه الشكاوى ؟**

- الحزب الوطني الديمقراطي .. فكر جديد .

- أمانة التنظيم .. رؤية شبابية .

- أمانة السياسات .. فكر خلاق .

- أمانة الإعلام .. صدق في الخبر والمعلومة .

- أمانة عصابة رصيف نمرة خمسة .

**٢٠٠٩/٧/٢٥**

## حوار مع عاقل

**• ما اللحن الذي تحب الاستماع إليه ؟**

قانون ٧٦ لسنة ٩٦ .

**•أفضل توزيع موسيقي في تاريخ مصر ؟**

توزيع الفقراء على طوابير العيش .

**• الشخصية التاريخية الأسطورية التي لا تنساها ذاكرتك ؟**

-كمال الشاذلي في *The God father*

**• الممثل الأكثر إمتاعًا من وجهة نظرك ؟**

عمرو موسى .

**• كاتبك المفضل بالتاء أو الذال ؟**

أسامة سرايا ومعه ممتاز القط ومحمد علي إبراهيم في الأساس .

**• الساعة التي تفضل التأمل فيها ؟**

ساعة القدر يعمى البصر ويحكمنا اللي مالهوش نظر .

• **قطار تتمنى ركوبه ؟**

بلاش لاحسن تزعل .

• **كاتب ساخر تقرأ له يوميًا ؟**

مرتضى منصور

عبد الله كمال

• **أحسن لاعب في المنتخب المصري ؟**

فتحي سرور .

• **بطل مافيا عربي ؟**

تاجر الفراخ حين يهربها رغم أنف الحكومة وأنف الإنفلونزا .

• **أكثر إعلان يناسب رؤيتك للفترة الحالية ؟**

يغسل أكثر بياضًا .

• **القائد الذي هزم الهكسوس والمماليك والعثمانيين والفرنسيين والانجليز وحرر مصر ويقودها نحو الرخاء والتنمية ؟**

جمال مبارك .

**• المرأة الحديدية ؟**

حماتي .

**• المرأة المائية ؟**

نانسي عجرم .

**• المرأة التي ينهض شباب العرب على نهضها ؟**

هيفاء وهبي .

**• مطرب الوطن والعزة والكرامة ؟**

تامر حسني .

**• كتاب تاريخي يتناول هذه المرحلة العظيمة ؟**

المستطرف في كل عصر مستظرف لنبيل لوقا الأبشيهي .

**٢٠٠٩/٨/٥**

# ماذا أكتب

ليست هناك مسرحية هزلية حدثت على أرض الواقع المـــصري أكثر من أن يخرج ممدوح إسماعيل براءة مثل الشعرة من عجين جثة ألف مصري ويزيد .. فماذا أكتب !

٢٠٠٨/٧/٣٠

# يا سيدي القاضي

*يا سيدي القاضي*

ماذا ستقول لأولادك عندما يسألونك كيف برَّأت رجـلاً قتل أكثر من ألف نفس، رجال ذهبوا للجهاد لأجـل لقمـة عيشهم والبحث عن مصدر رزق يعول أولادهم ويمنع عنـهم الجوع والفقر ؟

رجال ذهبوا لشراء بطاطين تحمي أولادهم من برد الـشتاء وعذاب الليالي وهم يتكتكون، وكيف أباحت لك نفسك - وأنت رجل الحق - أن تهين الحق، وتعكس آيـات اللـه الكريم ؟!

كيف رضيت أن تكون ضد كل الديانات السماوية الـتي أنزلها اللـه من فوق سماواته السبع منادية بالعدل والحق والخير والجمال ؟

يا سيدي القاضي كل السلطات التي في العالم سوف تنتهي ذات يوم ولن يبقى إلا وجه اللـه الواحد القهـار، فكيـف خدعتك سلطة غاشمة لا يعني لها فقراء مصر الذين يغمـسون رغيف العيش بعرقهم ودموعهم ويحملون همهم طـوال الليـل مفكرين في رغيف العيش الذي قد لا يجدونه غدًا شيئًا ؟

ياسيدي القاضي أنا لا ألومك .. ألوم النظام المصري الذي دق المسمار الأخير في نعشه، والذي رحل أخيرًا، فكل الممالك وكل الملوك الذين طغوا وتجبروا في الأرض وفسدوا فيها كانت مرحلة التخبط هي المرحلة السابقة لنهاياتهم، ولعل كتاب الصحفي البريطاني المشاغب جون برادلي " مصر من الداخل : أرض الفراعنة على حافة الثورة " اكشف أن النظام المصري بات في مرحلته الأخيرة وقد مُنع الكتاب من دخول مصر، لكن الشعب المصري لن يمنع من البقاء على أرضه، فقد بات المواطن المصري مدركًا بعد الحكم ببراءة ممدوح إسماعيل ونجله والمشاركين في قتل ما يزيد على الألف نفس في العبّارة، أنه لا يعني شيئًا بالنسبة للنظام، إن مات حرقًا أو غرقًا أو جوعًا، والمواطن المصري تشير أصوله وتاريخه إلى أنه لا يُبقي على من لا يبقي عليه، ولا أعرف إن كان النظام يقدِّر ذلك ويتغابى، أم أن سطوته وجبروته جعلاه لا يهتم في كثير أو قليل بالمواطن المصري .

***يا سيدي القاضي ..***

شرفنا مذبوح وشرف قضائنا مكلوم، فماذا تفعل أنت ومصرنا تتحول إلى قلعة يسكنها أولئك الذين يتحكمون في خلق الله، يأخذهم الجشع وحب المال والنفوذ إلى طمس الحق، لكنه لن يطمس حتى لو أرادوا، ولا ينبغي تجاهل قول ابن عروس " ولابد من يوم محتوم، تترد فيه المظالم، أبيض على كل مظلوم، اسود على كل ظالم " .. فقد بات هذا اليوم أقرب مما يتوقعون، ستخرج مصر في جلبابها المغزول من قطن أرضها لتقف في وجه كل هؤلاء الذين باعوا الوطن واستبدلوه بيخت على ضفاف لوزان وجنيف .

***سيدي القاضي***

لم يعد لدينا خيار فوطننا مسروق من بين عيوننا، وأرضه تروى بدماء آبائنا وأولادنا .. والسيف ينام كل ليلة فوق حناجرنا لنصمت، فنم قرير العين مرتاح الضمير، صافي القلب بلا أنين، فالصعايدة – الذين لي شرف الانتساب إليهم – كانوا قد تخلوا منذ زمن عن مسألة الثأر وأصلحوا ذات بينهم بالحسنى والمعروف، لكني لا أعتقد أنهم سيقبلون الصمت رداءً، والجبن غطاء فيما فعله ممدوح إسماعيل في أولادهم وآبائهم،

فهذه أجساد لا تأكلها أسماك القرش والحيتان باستمتاع ولكنها تأكلها بألم، فهي أجساد التحفت السماء على أرصفة وموانئ ليس لها أسماء ولم تُرفه ذات يوم مثل أجساد الذين حكمـــت عليهم بالبراءة .

نم قرير العين يا سيدي القاضي فأنت في وطن لايضيء فيه إلا من يدوسون البسطاء .

تلك هي مصر الآن، وصدقني الآن مؤقتًا، وإن غدًا لنـــاظره قريب .

٢٠٠٨/٨/٦

# جائزة القنفذ النحاسي لأنس الفقي

إذا كانت حالات الطلاق في الوطن العربي تقترب من معدل حالات الزواج، وإذا كان الرجل والمرأة – كلاهما – يكره هذه العيشة رغم الصبيان والبنات والسكر بنات والأكل من طبق واحد والنوم في سرير واحد ؟ فلماذا نلوم حكوماتنا المبجلة وهي ترفض النوم معنا في سرير واحد اسمه الحرية ؟

كان لابد أن تتراجع الحكومات العربية لأن صدرها يضيق بالحرية، ثم إنها اكتشفت أن " القلم " ليس لعبة، فقد تعاملت معه هكذا " لن يقصف قلم في عهدي " ، توقعته قلم رصاص من الممكن أن ينكسر بسهولة، لكنه أصبح قلمًا من بارود يدافع عن شرف الكلمة وقيمتها .

إن الحرية أكبر من أن تتحملها دولة عربية أيًا كانت، فأوطان لم تتسع لأبنائها كيف تتسع لحبَّة حرية ( وليس حبة بركة طبعًا ) .

لقد آن الأوان لتكميم الحرية بين ليلة وضحاها تحت رداء الدين والخوف على سمعة الأوطان وحماية الأخلاق، ولكن قبل تغطية الأجساد العارية على شاشات الفضائيات يجب تغطية الألسنة التي تفضح العهر السياسي وتكشف الكذب على الشعوب وقمعها وتزييف وعيها، بل وتخدرها باسم حمايتها

والحفاظ عليها، مع أن هذه الفضائيات لم تنقل لنا صورة من أوغندا في عهد عيدي أمين، ولكنها نقلت الواقع العربي بمرارته.. بآلامه .. بطغيان حكامه وجبروت أبنائهم .. نقلت عالمنا بفقره وسرطانه وتليف كبده .. شعوب من الفقراء والثكالى لا يجدون ما يطمعون به الأفواه .. يعيشون سنوات لا يخرجون من قراهم .. خروجهم الوحيد إلى الدار الآخرة .

لم يكن ما يشاهده الناس مساء كل يوم على قناة مثل الجزيرة وفي برامج مثل القاهرة اليوم والعاشرة مساء و ٩٠ دقيقة سوى جزء من كثير في وطن مذبوح بفقره من الوريد إلى الوريد، ولو كانت الإشارة التي تردد أن أنس الفقي - وزير الإعلام - تلقاها من جهة ما بأن كل شيء في القاهرة هادئ وجيد في الصباح وفي الليل تصبح الصورة قاتمة من خلال هذه البرامج صحيحة، فمعنى ذلك أن السادة الجالسين في القصور كالآلهة لا يدرون بما يحدث في هذا الوطن الباكي في الصباح والمساء، والذي يبحث له عن بلد آخر ليستقر فيه، وتكشف هذه الرؤية أن السادة يحكمون بلادًا أخرى ويسكنون دنيا غير التي نسكنها فلماذا لا يتركونا ويذهبون إلى بلد آخر صورته ليست قاتمة ليلاً ولانهارًا، ولو أرادوا أن نتركه فنحن على استعداد، ولكن عليهم أولًا أن يسألوا الوطن الذي يسكن عيوننا هل يريدنا أم يريدهم ؟

هم دائمًا في خلاف وتناحر، اتفاقهم الوحيد على الحريـــة، فبإشارة من الوزير الهمام أنس الفقي، وبوثيقة سعودية تنتمـــي إلى عصر الجواري، هرول وزراء الإعلام العرب إلى القـــاهرة، وفي غضون ساعات كان كل شيء جاهزًا على التوقيع على ما أسموه مبادئ تنظيم البث الفضائي الإذاعي والتليفزيوني للمنطقة العربية لوضع ضوابط بهدف الارتقاء بالرسالة الإعلامية، بـــل وسيتم إنشاء مفوضية أو مجلس عربي لتنظيم البـــث المـــسموع والمرئي، وذلك للحفاظ على المصالح العربية، والغريب أن أنس الفقي نفسه أكد قبل ذلك في كلمته أمام المؤتمر الدولي للإعلان في يناير ٢٠٠٦ ، تـــصميمه لمواكبـــة التحـــول الـــديمقراطي والتمسك بالمصداقية والشفافيه، ونقل صورة موضوعية للعـــالم كله إزاء ما يحدث في مصر، وبالطبع ليس عيبًا أن يرجع وزير و " يلحس " كلامه، ولا داعي لأن نتهمه بأشياء ليست فيـــه، فهذا الكلام هو من قبيل الضحك على الذقون .. وبيع الـــوهم من نوعية نحن نعيش أزهى عصور الديمقراطية، وإحنا وراك يا ريس، وما تقولش إديتنا إيه مصر، قول هاندي إيه لمصر.. لذا كان لابد من وزير إعلام مثل أنس الفقي بدأ حياته بكـــشك كتب ثم رئيسًا لهيئة قصور الثقافة ثم قريبًا من الهـــانم لتجعلـــه

وزيرًا للإعلام، فلا تتعجب يا أخي لحكمة الأيام وصروف الدهر، لذا بعد أن أدار التليفزيون المصري على طريقة "الدكان"، ها هو يحاول قمع الفضائيات العربية التي تكشف التنكيل بشعب مصر وتحويلها إلى دكاكين تتبع دكانه .

لهذا أقترح أن يمنح أنس الفقي جائزة القنفذ النحاسي، وذلك أسوة بجائزة القنفذ الذهبي البلغارية، فقد تفوق الرجل على القمم العربية التي تفشل أثناء الترتيب لها أو وقت انعقادها، فقد جمع العرب على كلمة سواء، لذا يستحق هذه الجائزة ونحن نفتح باب التصويت على هذه الجائزة إذا كان يستحقها أم لا، ومن يستحقها أيضًا .. وسأكون أول المصوِّتين – ( ليس من الصويت بالمناسبة ) – لوزيرنا الهمام فهل هناك أحد يصوت معي ؟

٢٠٠٨/٢/٨

# أن تكون إسرائيليًا "١"

لا تحاول يا صديقي البحث عن وطن آخر، فهذا الـوطن الساكن في عيوننا والمصنوع من محيط دموعنا والراقـد بـين حنايانا لا يستطيع مجموعة من الزبانية طردنا منه .

على الرغم من كل الثكنات العسكرية التي تحاصـرك مـن شارع ٢٦ يوليو وحتى شارع رمسيس مرورًا بشوارع عبـد الخالق ثروت وشامبليون ومحمود بسيوني وأمام نقابة المحـامين ونقابة الصحفيين، فهؤلاء الـسادة غـير الأفاضـل، الـذين يحاصرونك بالحديد والنار، وتكون أهبل لو صدقت كلامهـم عن أن هذه هي الأوامر، هم يحاصرونك ويضربونك ويـسبون أباك وأمك بناء على رغبات في دواخلـهم، علـى تقزيمـك وتحطيمك وكسرك من الداخل لألف قطعة لتحس أنك مواطن تافه.. بعوضة، لا قيمة لك .. لا فـرق إن كنـت طبيبًـا أو مهندسًا أو عالم ذرة، الكل سواسية والكل مضروبون.. الصفع على الوجه وعلى المؤخرة بأحذية حديدية وأياد من نـار هـو أسلوبهم.. ذلك أنك لست مواطنًا إسرائيليًا، هم يتمنونـك أن تقولها " آه لو كنت إسرائيليًا أو ليتني كنت إسرائيليًا ".. وقتها أنت عميل وخائن، تبيع وطنك في نظر الشرفاء وليس هـؤلاء

العسكر طبعًا، مع أهم يعلمون، ويعرفون أنك تعلم، أن المواطن الإسرائيلى أفضل منك مائة مليون مرة، فهو في بلد ليس بلـــده لكنه يعيش بكرامة، ينام قرير العين، يحلم ويحقق أحلامه، وأنت في بلدك تنام بعين واحدة، والعين الأخرى تصحو طوال الليـــل تبحث عن الأولاد.. هل ينامون في أسرّهم أم أهم ســـرقوا في ليلة سوداء بعد مظاهرة في جامعة القاهرة، أقصى ما فعلوه فيها حرق العلم الإسرائيلي — وكم يعذبني إضافة أل التعريف لهـــذا العلم —

ضباط الشرطة يرتدون جواكت وبلاطي شتائية تـــدفئهم، وإذا أرادوا تسخين أياديهم صفعوك، حدث هذا وأنا أودع عام ٢٠٠٨ ، وكنت عابرًا بجوار دار القضاء العالي متجهًا إلى نقابة الصحفيين، تجمع حولي عشرة من الجياد ذوات الصدور البارزة — ليست الناهدة – ومنعوني من العبور، ورغم أهم شـــاهدوا كارنيه نقابة الصحفيين فإهم أحدهم دفعني في وجهي بأصابعه الخمسة لا أعرف إن كان وجهي مدفأة أم أنه كـــان يجـــرب أصابعه في وجهي بدلًا من أن يجرها في مكاها المعتاد لديه، و لم أهاتف مكرم محمد أحمد – نقيب الصحفيين –الذي وضع رقم هاتفه في الدور الأرضى في النقابة، ذلك لأنـــه لا يـــستطيع أن يفعل شيئًا لنفسه ولا لنقابة الصحفيين، و لم يفعل بالأساس شيئًا

لمهنة الصحافة سوى "هجص" من نوعية "هجص" السيد عمرو موسى.. وآخرها "هجصه" في واقعة الصحفي الرائع منتظر الزيدي!!

الغريب أن ورد مصر الذي ينبت في بساتينها الخضراء ويرفع صوته العالي ضد ما يحدث في غزة.. ضد الأطفال والرجال والنساء الذين يستشهدون كل يوم، يدرك جيدًا أن الجياد لها أوان يطلق فيه عليها النار لتموت، وأن هؤلاء الذين يريدونك أن تغير جنسيتك وتهاجر إلى دولة أخرى سيدوسهم التاريخ بحذاء أردأ من أحذية باتا، لكن المدهش والذي أريد للورود التي تزهر في أرض مصر كل يوم أن تعرفه، أن هؤلاء العسكر يحملون هواتف محمولة مزودة بكاميرات الفيديو ويصورونكم بها، ليحتوي الأرشيف الوطني على لقطات فيديو لكم، بالتأكيد ليس لأن الداخلية تقرر إنشاء قناة فضائية جديدة في مواجهة كليبات التعذيب لنقول إن هذه كليبات المواطنين الشرفاء الذين يقولون " لا " لكل هذا القبح الذي سوّدوا به مصر، ولكن هذه الكليبات تبقى في سجل الشرف الوطني الحقيقي، وليست أبدًا نقطة ضعف ولكنها نقطة قوة لرجال في عصر عزَّ فيه الرجال، وهذه ليست دعوة من دعوات السيد حسن نصر الله الذي يطالب بانقلاب في مصر، حسب ادعاءات نظامنا الميمون، والذي أولى به أن يهاجم شمال إسرائيل، ولكنها دعوة لك لأن تكون إسرائيليًا حتى تحترم في وطنك وتنام قرير العين . ولكم كنت أتمنى أن أخبر حراسات

وسط البلد أني ذهبت إلى التوفيقية ووكالة البلح بحثًا عن علم إسرائيل لكي أضعه فوق بيتي حتى توفر لي الدولة الأمان، وقد ذكر لي أحد التجار بأن هذا العلم سوف تتم إضافته إلى شنطة الإسعافات الأولية، حتى إذا وقع لك حادث ولوّحت به تعالج فورًا في أرقى مستشفيات مصر..!!

ولكن العلم وحده لا يكفي، لذا فكرت بتعليق لوحة كبيرة على شرفة بيتي أكتب فيها " كل رجال حماس عملاء وخونة منعوا تطبيق الركن الخامس من أركان الإسلام، وباعوا الدم الفلسطيني واستقبلوا رؤساء وزراء إسرائيل في بيوقم وقصورهم وسلموا على تسيبي ليفني وأنزلوها بحنيّة مثل " الليدي " التي تستحق. (*)

أقول لك حتى تنجو من شوم العسكر، اكتب على صدرك وأنت تعبر داخل وطنك " حماس ولاد كلب ".

تلك هي مصر يا صديقي التي فاق تحرش ساستها وعسكرها تحرش صبيتها.

٢٠٠٩/١/٧

---

(*) إشارة إلى استقبال أحمد أبو الغيط – وزير الخارجية – لنظيرته الإسرائيلية.

# أن تكون إسرائيليًا "٢ "

رجل في ستينيات عمره، تلمح في وجهه رجالات مصر الذين كنت تراهم في زمن فائت، يتحسس طريقه خلف دار القضاء العالي في وسط القاهرة باحثًا عن منفذ يتحرك فيه، يحمل في يديه كيسًا أسود، ربما به بعض أرغفة يحملها لأولاده، ربما نصف كيلو جرام من اللحم، لا أعرف.. لكني لمحته يتقدم من جدار بشري عازل محصن بلواءات وعمداء شرطة وعساكر تمنعه من المرور وتشير له إلى ناحية أخرى، تحرك الرجل في شارع ٢٦ يوليو متجهًا إلى الشارع الرئيسي، قابلته نفس الثكنة العسكرية، تراجع دون نقاش ناظرًا للأيادي المرفوعة بالعصي، اتجه إلى مدخل شارع عبد الخالق ثروت من ناحية شارع طلعت حرب، خطوات تقدمها، تلفّت حوله، لمحني، أحس بتتبعي له، نظر إلى الناحية الأخرى، أخذ يتقدم، لمح ثكنة عسكرية أخرى، تمتم ببعض كلمات، ربما كانت شتيمة أو حسبنة، لا أعلم، تقدم يرجو ويطلب ويلح، وظيفة ما، هذا ما توقعته، طلبوا منه هويته، لكن يبدو أن الذي رآه أحدهم في خانة الوظيفة كان مختلفًا عن توقعي، لذا باغته ببوكس في وجهه.

سقط الرجل على الأرض، بينما كانت مظـاهرة تجتـاح الواقفين في صوتها وجلبات أقدامها، بدأ الضرب بـلا رحمـة، بينما عينيَّ تلمحان الرجل ينحني على كيسه الأسود ممسكًا به وعائدًا في صمت.. إلى أين.. إلى وطن آخر.. لا أدري.

المظاهرات مباحة ومتاحة في كل دول العالم، العالم الـذي يمارس الديمقراطية، بـل وفي العـالم الـذي يمـارس القمـع والديكتاتورية، من حقك أن تقف لتعترض.

طاعة الأب واجبة والواجب أيضًا أن تصحح له أخطـاءه، وكذلك الحاكم والوزير والسياسي، لكـن في بلادنـا حـين يتحول كل ما نرتديه إلى خوف، وكل ما يحيط بنا إلى قهـر ليس من حقك أن تقول "لا"، مع أن "لا" هذه تفيـد النظـام أكثر مما تضره، كان باستطاعة هذا النظام، لولا عتهه، أن يترك شباب مصر يخرج ويهتف أمام النقابات وداخل الجامعات، بل وأمام السفارة الإسرائيلية، ووقتها يتحدث الرئيس مع هـؤلاء الدمويين في الغرب ويخبرهم أنه لا يستطيع تحمل كـل هـذا الغضب في أرض مصر.. وثم يتخذ خطوة شـجاعة ويطـرد السفير الإسرائيلي "مؤقتًا" كالعادة، وقتها سيتم الضغط علـى العدوان الصهيوني وما يفعله في غزة وتتم تهدئـة الأمـور في الداخل، لكن ما حدث في الأسابيع الفائتة عكس ذلك تمامًـا، ما إن أعلن الرئيس مبارك في خطابه عدم فـتح المعـبر أمـام الغزاويين حتى هبط الزبانية إلى الشوارع يضربون بيـد مـن

حديد، حتى لو كان المتظاهر أحمد زويل أو هيكـــل لا فـــرق، لابد لفرق الكاراتيه المدربة أن تطبق تدريباتها.

أنت في مصر بالتأكيد وطنك بالميلاد والتربية والدم ومـــاء النيل وماء الحياة، لن يستطيع أحد أن يخرجك منه، لكـــن أن تكون إسرائيليًا داخل وطنك تحترم أكثر وتقدر أكثر، حتى لو كنت تحمل كيسًا أسود به لقيمات لأولادك.

حين تكون إسرائيليًا في مصر فأنت لست عابرًا عاديًا لكنك جوهرة ثمينة لابد من الحفاظ عليها، كل الطرق أمامك معبدة، كل تاريخ مصر تستطيع أن تدوسه بحذائك متفرجًا ومستمتعًا.

هنا الفراعنة بنوا أهراماتهم، وهنا طرد أحمس الهكـــسوس، وهذا طريق الكباش، ألا ترى أن اسمه مناسبًا لنا كمصريين!

في واقعة لا أذكر بطلها حين زار ديّان مصر في عهد الرئيس السادات، وذهب في زيارة إلى الصحف قام صحفي وكاتب في مجلة أكتوبر – التي كان يترأس تحريرها أنيس منصور وقتها – بسبِّ ديان وخلع له الحذاء، ذلك لأن في مصر وقتـــها كـــان هناك شيء اسمه " الرجال "، وكان هناك من يرفضون المـــشي بجوار الحائط، وكان على الرغم من سلام الـــرئيس الـــسادات هناك من لايزالون يؤمنون بأن المصري مصان الكرامة في وطنه، ولا يعامل الإسرائيلي في مصر معاملة أفضل منه.

الزمن يتغير والقيم التي كنا نصر علي ثباتها تتحول، فلماذا تريد من نظامك أن يبقى على ثباته، " ألم تر أن وقوف الماء يفسده ".

٢٠٠٩/١/٧

## حزب العدالة والتنمية العربى

تأمل معي وأجبني : هل يوجد حزب تنمية وعدالة عربي ؟

أو أضعف الإيمان : هل توجد دولة عربية واحدة فكرت أو سعت لأن تحتذي نموذج حزب العدالة والتنمية في تركيا ؟

بعد أن تأرجحت ردحا طويلا من الزمن بين الإسلام وتجربة كمال أتاتورك استطاعت تركيا أن تخرج من نفقها المظلم، وتقدم تجربة حقيقية للنهضة على كل مستوياتها السياسية والفكرية والأدبية والفنية .

فعلى المستوى السياسي، استطاع حزب العدالة والتنمية التوفيق بين مختلف الاتجاهات والمتناقضات في تركيا، بل والغريب أن هذا الحزب اعترف بالأكراد ومنحهم حقوقهم في خطوة أكثر جرأة وذكاء، بل قام هذا الحزب المدني بوضع مشكلات البلد كلها أمامه وطرحها على الطاولة وبدأ في تقديم الحلول لها، بل وحلها بالفعل ، بينما يتردى الإخوان المسلمين ومعهم الحكومة لدينا في وديان من التيه لنتوه أكثر مما تاه قوم موسى.

لم يتشدق حزب العدالة والتنمية بكلمات مثل الحرية والعدالة والمساواة، لكنه راح ينفذها بالفعل، لدرجة أن يصل

إجمـــالي الـــدخل الـــوطني لتركيـــا ٨٠٠ مليـــون دولار . على رأس هذا الحزب يقف رجب طيب أردوغـــان بـــسياسة حكيمة ورؤية ثاقبة وتأثير نتمنى أن يلحق بالعرب، وأن يحدث تقارب فعلي حقيقي، وتأثير يلمسه الناس .

على مستوى الفكر والأدب، يوجد في تركيا كتّاب تترجم أعمالهم إلى مختلف اللغات مثل أورهان باموق ويشار كمـــال ومظفر أزغو، وعلى مستوى الفن لم تكن مسلسلات مثل مهند وعاصي إلا قطرة في أعمال جيدة الـصنعة، جيـــدة الكتابـــة والحبكة، مبهرة في أماكن التصوير، مقدمة عرضا سياحيا مبهرا لتركيا زاد من دخلها الـــسياحي، وكاشـــفة عـــن عـــادات وأخلاقيات وقيم أصيلة يتمتع بها الشعب التركي .

إننا إزاء بلد ينهض بشكل غير معقـــول، بينمـــا قاربـــت حكوماتنا على أن تمشي في بلادنا بلا عقول، فحين يقوم حزب مدني بكل هذه النهضة في تركيا، بينما ترتع حكومات عربيـــة في بحار من الجهل والديكتاتورية والقمع؛ فبالتأكيد نعرف أين نقف، وإلى أين وصلنا، وإلى أين تذهب بنا حكوماتنا.

**٢٠٠٩/١٢/٣٠**

## بتضحك على مين ..!!

الأستاذ أسامة سرايا له فضل عليّ لا أنساه، فقد خرجت من مؤسستي ذات يوم مشردًا بلا راتب ولا وظيفة ولا كيان، حين قام أحد زملائي بتسجيل كلام ما من لساني الطويل على أحد رؤسائي، واختار وقت التجديد لي ليقدم هذا التسجيل، حيث من حق رئيس التحرير رفض التجديد لك في أول عام من تعيينك في المؤسسات القومية .

فقد التقى الأستاذ أسامة سرايا الأستاذ إبراهيم نافع مقدمًا سيرة ذاتية حسنة عن شخصي قائلاً له إنني أستحق رتبة رئيس قسم وليس رتبة محرر عادي، ومن يومها أحاول البعد عن أي طريق يأخذني لنقد الأستاذ سرايا، فنحن لا ننكر الجميل، لكنه أيضًا يعرف أن النقد للنقد وفتح النقاش لا يعتبر نكرانًا للجميل، لذا أهدي له عنوان مقالي هو والأستاذ محمد علي إبراهيم، فهما يبعثان للصحفيين في الصحف القومية رسالة اطمئنان بأنهما في المقدمة، وأن الصحافة القومية تتصدر كل أنواع الصحافة الأخرى، بل ويرى الأستاذ سرايا أن الصحافة القومية حققت المعادلة الصعبة في الزمن الأصعب، وكلامه صحيح إذا كان يقصد نجاح الصحفيين القوميين في صناعة صحف أخرى خاصة أفضل من الصحافة القومية .

يؤكد أيضًا أنهم – أي القوميين – " حافظوا على الولاء والحب والانتماء للوطن، واحترموا عقل القارئ و لم تجرفهم سفاسف الأمور وشهواتها وسطحيتها وغوغائيتها، وخاضوا معارك مصر بالانتماء الواجب، وخلقوا مناخًا وتيارًا يحميان مصالحنا .. واحتفظوا بحب واحترام قارئهم " .

بالطبع الأستاذ سرايا صادق فيما كتب إذا عرفنا أن القارئ المقصود هو الرئيس مبارك وليس سواه، وأن صحافتنا القومية كانت أكثر أنواع الصحافة مساندة للاحتلال الأمريكي للعراق على سبيل المثال وليس الحصر .

الحق أقول لكم إنني أحب صحافتنا القومية وأفضلها وأبدأ بها يومي لمطالعة الأخبار التي تهم الوطن، وأحرص على انفرادالها وسبقها اليومي بالخبر والمعلومة .

يا أستاذ أسامة أنظر من يكتب مقالات في الصحف القومية، ومن يكتب مقالات في صحف مثل المصري اليوم والشروق والبديل سابقًا لتعرف أيهما في المقدمة .

انظر من تحاور هذه الصحف ومن تحاور الصحافة القومية لتعرف أيهما في المقدمة . ثم تأمل وتأنَّ وأنت أكثر من يعرف أن نفس الصحفيين الذين يحررون ويكتبون في الصحف الخاصة هم نفس الصحفيين الذين يحررون ويكتبون في الصحف

القومية، وهم بالمناسبة ليسوا بوجهين ولكن الصحافة الخاصة فتحت أمامهم الباب دون قيد ليجربوا ويبدعوا ويكتبوا، لم تضع رقيبًا على أسنان أقلامهم فسال الحبر منها صادقًا معبرًا وكان سر نجاح هذه الصحف .

كلنا يعرف من يكتب بدلًا من توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ورجاء النقاش في الأهرام الآن كتابة تشبه من احتل له عامودًا وهات يا حرث وكأنه في عزبة أهله .

الحق أقول لك : طالب بإعادة الأقلام والمواهب المهاجرة وامنحها الأمان، امنحها الراتب الذي يكفيها وأطلق لأقلامها العنان حتى تستطيع أن تنافس وتقدم صحافة حقيقية لقارئ لا يرضى مهما فعلت لأجله .

كلنا يعرف أن هناك شبابًا في الفيس بوك ومواقع الإنترنت يساوي الواحد منهم عشرة صحفيين من إياهم في الموهبة وطريقة التفكير، لماذا لا تجلب الموهوبين منهم لتصنع صحافة فيها دماء جديدة ؟

ثم كيف يتم غلق مواقع المؤسسات الكبرى على الإنترنت داخل مصر وفتحها في جميع دول العالم. لا تستطيع أن تقرأ سوى عدد اليوم إلا بالاشتراك، في حين أن كل الصحف

الخاصة فتحت مواقعها على البحري لتعليقات القراء وللنقاش المثير للجدل .

ثم يعود ليقول " تصور البعض أنه يمكن التحريض أو التخويف بالحرية عندما وقعت في المحظورات الكثيرة، و لم يتصوروا أن باني المؤسسات في مصر، بل باني مصر الحديثة الرئيس حسني مبارك، ليس من الممكن أن يهتز أو يرتد، فإذا به يثبت للجميع بأنه الحارس الأمين والضامن الأكيد للحرية في مصر .

أي حرية تلك التي ضمنها الرئيس مبارك، وفي عهده " قلعوا " زملاءك ملط في صحراء المقطم، وحبسوهم وشردوهم، وما زال صحفيو الشعب رغم مرور عشر سنوات على إغلاق جريدهم مشردين بلا معاش ولا تأمين يحميهم أو يؤوى أطفالهم ؟

ثم يكر الأستاذ أسامة سرايا ويفر مؤكدًا أن المؤسسة العسكرية والمؤسسة الأمنية تم تحديثهما وتتكلمان بلغة العصر، وهذا صحيح إلى حدٍ كبير، كان الأصح منه أن تتكلم المؤسسات الصحفية لدينا بلغة العصر، أن تحرص على التطور واللحاق بتقنيات السرعة في الصحافة العالمية، وأن تستحدث

أبواباً وملاحق مواكبة للتطور مثل الصحافة البريطانيـــة علـــى سبيل المثال.

إنني أشعر بغصة في حلقي وأغبط جريدة مثل المصري اليوم على ملحق " الناشر " الذي كانت تـــستطيع مؤســـسة مثـــل الأهرام تقديم ملحق مثله وأفضل .

لا ينسى الأستاذ سرايا في مقاله أن يذكرنا بسبب المقـــال وهو تحية لقائد العبور العظيم بمناسبة يوم توليه حكـــم مـــصر، وليت الأستاذ سرايا تحدث عن مشروعات مثل الكباري ومترو الأنفاق والسكك الحديدية وغيرها، فمثل هذه المشروعات تقنع هذا الشعب الجائع أكثر من كلام مثل حكمة الرئيس وسياسته ورؤيته التي لا تعلوها رؤية سوى رؤية هلال رمضان ودمتم .

**٢٠٠٩/١٠/٢٨**

# صحافة الديناصورات

قلت لموظف شئون العاملين في الأهرام :

تخيل بـــ ٦٨٢٠ جنيهًا تحصل على حريتك وبإيصال رقـــمّ ٧٥٩٢ ..!!

لا أفهم في الأرقام و لم أهتم يوما بشيء طالما أنني فقـــط " رقم " داخل مؤسسة، ولكنه القدر أن تكون هـــذه الأرقـــام حاملة لصك حريتك، والتي بها تحصل على إجازة بدون مرتب حتى تريح وتستريح .

رد عليّ موظف شئون العاملين : يا رايق .

في الأسانسير يافطة نحاسية تقول : في حالة حدوث طوارئ برجاء الاتصال برقم ٢٤٨٠١ .. طلبت الرقم مـــن هـــاتف الأسانسير فرد عليّ صوت، قلت لـــه : وإذا لم يكـــن عطـــل والماكينة عادت لشبابها بعد ترهلها فبرقم كم أتصل ؟

أبدى دهشته قائلاً : نعـــــم .. ومدها هكذا، قلت لـــه : شكرًا .

لم تكن الأهرام كذلك ولكنها كانت مؤسسة عريقة تربَّت فيها أجيال وصنعت مواهب وتفردت خلالها أقلام .. وكـــان

من لا يقرأ الأهرام يصبح أميًا .. فأصبح من يقرأ الأهرام يصبح أميًا ..! وهذا شيء طبيعي فحين يتزوج الرجل امرأة ثلاثين عامًا يصير رجلًا اعتياديًا فما بالك بمؤسسة ؟

صارت الأهرام تصنع نجومها خارجها .. كل قلم له بريق لا يضيء في الأهرام ولكنه يضيء في المصري اليوم والدستور والشروق والعديد من الصحف التي نهضت على أكتاف الأهراميين ..

عام قضيته بعيدًا عن الأهرام بعد ما حصلت على إجازة بدون راتب، أفادتني كثيرًا في قراءة ما فاتني من كتب وتمنيت أن أقرأها، رتبت حياتي بشكل جيد، وعدت للأهرام في عهد أحد رؤساء مجالس الإدارة الذي أدمن سحق كل شيء له قيمة في مقابل الإبقاء على الزيف، و لم أدفن رأسي في الرمال كما فعل عديدون راحوا يكتبون عنه بعد رحيله ( ارجع إلى مقالي " الطاووس " المنشور في " المصريون " لتعرف ما كتبته عنه )، كنت أحس أن لا أحد في المؤسسة يشتهي وجع الدماغ، لذا راحت قصائد الشعر المزيف والمشعلقات تعلق له على جدران المؤسسة دون رد فعل حقيقي من قبل تطوير الأهرام مهنيًا .

لعل الأهرام هي المؤسسة الوحيدة في مصر التي تستطيع جلب أفضل الصحفيين في العالم لتقديم دورات صحفية

حقيقية، وليس محمد حسنين هيكل أغنى من مؤسسة الأهـــرام حين اهتم وأتى بـــ "سيمور هيرش" ليعقد دورات مع صحفيين مصريين خطوا أولى خطواهم كالنبت الشيطاني و لم يجدوا من يرعاهم أو يدلهم على الصحافة الحقيقية، إن تجربة صـــحافيين عالميين خاصة في التحقيقات الاستقصائية تقدم لنا في الأهـــرام ثراءً وسعيًا حثيثًا لتقديم صحافة حقيقية تعتمد علـــى أســـس وثوابت .

وأتمنى من الدكتور عبد المنعم سعيد خاصـــة بعـــد قـــراره بتخصيص مبلغ يتراوح ما بين ألف وخمسة آلاف جنيه لأفضل تحقيق صحفي ينشر في الأهرام وإصداراته، وأحاديثـــه حـــول اهتمامه بتحسين المؤسسة مهنيًا، أن يهتم بمهنيـــة الـــصحفيين، فمن عادة رؤساء مجالس الإدارات التفرغ لأشياء أخرى خلاف المهنية ، ولعل هذا أحد أسباب تفوق صـــحافة دول الخلـــيج علينا، على الرغم من أن أغلبها قام في الأساس على أكتـــاف صحفيين مصريين .. ثم إن تجارب الـــصحف المـــستقلة مثـــل المصري اليوم والدستور والشروق والبديل لم تأت من فـــراغ، ولكن عبر رجال عرفوا أن قيمة الصحيفة تأتي من نجاحها المهني فقط وليس من أي شيء آخر، و أعتقد أن الأهرام بدأت الآن أولى خطواها نحو التطوير الحقيقي وصناعة مؤسسة صـــحفية بدلًا من مؤسسة أصبحت مثل الديناصورات، كبيرة وضـــخمة لكنها منقرضة .

كلما دخلت إلى مؤسستي مصمصت شفتي على الحال التي وصلت إليها، وحين أخرج منها أقـول : لعلـها ذات يـوم تتخلص من ترهلها وتعود إلى مهنة الصحافة .

**٢٠٠٩/٨/٢٠**

# سمير فرج ودعم السيدة الأولى

يعتقد سمير فرج أن لا أحد من حقه أن يحاسبه فهو قريب من السيدة الأولى وينفذ تعليمات الرئيس بالحرف، هذا ما يردده أهالي الأقصر الآن، وأظن – وظني في محله تقريبًا – أن السيدة الأولى لا ترضى بتهجير الفقراء والفلاحين من أراضيهم وتلقي بهم في رمال الصحراء، لذا فإن على اللواء سمير فرج أن يتخلى عن مسألة أن السيدة الأولى أو رئيس الجمهورية أو حتى رئيس الوزراء يدعمونه فيما يفعل خاصة إذا كان هذا الفعل يؤدي إلى كارثة قد تعود بمصر إلى الحوادث الإرهابية في الجنوب وتصيب الأمن القومي في مقتل .

تسألني " إزاي "، وبدوري ومن أرض الواقع في قرية " المريس " في محافظة الأقصر أقول لك " إزاي " ؟

٥٠٠ فدان من أجود الأراضي الزراعية على النيل يمين كوبري غرب الأقصر لبناء مشروع استثماري لصالح " الهلّيبة " وأحد رجال الأعمال الجدد الذي سيشم الرائحة ويأتي مهرولًا للاستثمار وتحقيق الربح السريع في مشروع بواخر وفنادق ومراس سياحية أو رجل أعمال أجنبي، ثم يطرد " صعايدة " الأرض لديهم ما زالت كالعرض وهي مصدر دخلهم الوحيد

ومشروع حياهم، بالتأكيد سوف يخرج من هؤلاء إرهابي يسعى للانتقام .. لتفجير أتوبيس سياحي مثلاً .. لأي عملية من تلك العمليات التي سوف تقضي على السياحة وهي دخل محافظة الأقصر الوحيد، ولا أدري لماذا يسعى اللواء سمير فرج إلى رفع درجة الاحتقان بينه وبين الصعايدة وتهديد الأمن القومي وضرب أمن البلد في مقتل من أجل مشروع كان بإمكانه أن ينفّذه في أي مساحة من مساحات الصحاري الشاسعة ويجذب إليه السياح بطريقته الخاصة، فإذا كان رجل أعمال مثل هشام طلعت مصطفى ذهب إلى الصحراء وحصل على أرض بدون مقابل ليبيع المتر فيها بخمسة آلاف جنيه، ألا يستطيع محافظ جذب الاستثمارات إلى محافظته وجذب السياحة بمشروع لا يدمر البلد بأكمله ؟

. أهالي قرية المريس تحركوا بالفعل لإنقاذ بلدهم فعلى الفيس بوك تجد استغاثات منهم ومناشدات، وفي الصحف بدأوا ينشرون استغاثات بعد أن رفضت النيابة الإدارية في قنا الدعوى المقدمة منهم، وأقرت بنزع ٥٠٠ فدان من أجود الأراضي الزراعية بناء على قرار رئيس مجلس الوزراء ووزير التنمية الإدارية .

إذن الموضوع – كما العادة – في حاجة إلى تدخل جهة عليا، الموضوع في حاجة إلى تدخل السيدة سوزان مبارك ووقف مثل هذا المشروع، طالما أن اللواء سمير فرج يصر على طرد البسطاء من بيوتهم ليتحول بعض الشباب إلى "جوجولو" صعيدي – كما كتبت عن الأقصر من قبل – يتزوج من عجوز أجنبية ليبيع جسده مقابل المال والتخلص من البطالة التي يعاني منها، أو يتحول إلى إرهابي ينظر إلى السائح القادم إلى الأقصر على أنه عدو له سلبه أرضه ليتمتع بالحياة عليها .

سيادة اللواء سمير فرج، الأمر بحاجة إلى وقفة حقيقية منكم حتى لا يتحول الوضع إلى ما لا يتوقعه أحد، حاول أن تدرس شخصية الجنوبي قبل الاستيلاء على أرضه .

**٢٠٠٩/١٢/٢٣**

## شعب من الخانعين

هذا شعب يستحق كل ما يحدث لـه، يستحق حكامه وحكومته، شعب نائم في العسل مصاب بالهيجان أثناء مشاهدته أو تسليته في مشاهدة مباراه بين منتخب مصر والجزائر .

يدعي الجمهور الذي يهلل هنا وهناك أن هذه هي الوطنية وأنه يقدم دورًا وطنيًا لصالح مصر ومنتخب مصر، ويسود نداء بأن " خلّي الناس تفرح " وكلنا يعرف أن الناس" ما فرحتش " لأنها تسعى إلى الفرح ولا تسعى لاتخاذ خطوة واحدة لتحقيقه، فالناس لن تنهض للخروج في مظاهرة أو المطالبة بإنشاء حزب يحقق لها أقل مستوى من الحياة الإنسانية الجيدة، ولن تهتف كما هتفت في الشوارع عشية مباراة مصر والجزائر أو يوم الفوز مطالبة بهامش من الديمقراطية أو مطالبة في حق المواطن المصري بأن يحصل على قوت يومه بعزة وكرامة، وأن لا يترك بعض المستبدين والمحيطين به يتمتعون بخيرات بلده دون التحرك قيد أنملة .

فرحت مثل الملايين بفوز المنتخب المصري على المنتخب الجزائري، وحمدت اللـه على ذلك وشكرت في نفسي الجهد

الذي بذله اللاعبون بقيادة حسن شحاته، فرحت لفرحة شعبنا واتحاده في البهجة، لكني رحت بعيدًا أتخيل الحال التي وصلت إليها مصر، حال شعب منكسر على نفسه، مهموم طوال اليوم، يعتريه الحزن والضيق والكرب بسبب ضيق ذات اليد، لدرجة أن ٤٠% منه يصرف في اليوم خمسة جنيهات وستون قرشًا، مع أن بعضهم يصرف في الليلة خمسين ألفًا من الجنيهات، أفلا كان أولى بهذا الشعب أن يتحد في المطالبة بحقوقه ؟

إذن هو يستحق كل ما يحدث له، طالما ظل مرتكنًا في زاوية من الحياة ناظرًا لكل ما يحدث حوله غير مشارك فيه ولا ساعٍ لتغييره باحثًا عن " مخلص " أمريكاني لن يأتي له إلا على مدرعة عسكرية ليريه أكثر مما يرى .

لا نطلب من الشعب أن يتحرك ليأخذ حقوقه بالقوة ولكن بالخروج في مظاهرة سلمية فيها نصف المشجعين الذين ملأوا شوارع القاهرة من شمالها إلى جنوبها هل يعتقد الشعب أن الحاكم إذا شاهد دخان المظاهرات كما حدث في انتفاضة الطعام حين شاهد الرئيس السادات دخان الاعتراض والمظاهرات من أسوان لا يتخذ قرارًا لصالح هذا الشعب ؟

المخابرات المصرية واحدة من أذكى أجهزة المخـــابرات في العالم وتعرف ما يعتمل داخل الشعب المصري وتدرك الحالـــة التي وصل إليها، لكن بعضًا ممن هم حول الرئيس يمنعـــون أي معلومات حقيقية في أن تصل إلى الرئيس، لذا إذا خرج هـــذا الشعب ورفع صوته فلن يستطيع أن يحجب صوته أحـــد مـــن هؤلاء، لكني أعلم أن الشعب لن يخرج وأن الشعب يـــستحق ويستحق ويستحق، فهذه هي مصر التي تحتاج كما قال جمـــال حمدان لمن يحركها، يمشي أمامها، يدافع عن حقوق الشعب .. تحتاج إلى " فارس " لكن دون أن تساعده أو حتى تقف خلفه، تتركه هكذا لمصيره .. ألم أقل إنه شعب من الخانعين .

**٢٠٠٩/١١/١٩**

# طن زبالة لكل مواطن

المتأمل لمانشيت جريدة الشروق أمس " نظيف في البرلمان : طن زبالة لكل مواطن بـــ " الصلاة على النبي " يحمد اللـــــه كثيرًا على أن الدكتور نظيف اهتم بالمواطن المـــصري أخـــيرًا، ومنحه طن زبالة، فمنذ تولي الدكتور نظيف وعينه على المواطن المصري يهتم بـــ " دخوله " من رغيف العيش إلى الأزمـــات الطاحنة االتي مر بها، وها هو الآن يهتم بـــ " خروجه " .

خلاف طن الزبالة الذي دعا إليه الدكتور نظيـــف هنـــاك مسألة أخرى في بيانه أمام مجلس الشعب أمس وهي قوله : إن الإقتصاد المصري صمد أمام الأزمة المالية العالمية " وهذا الأمـــر يعود إلى سياسة الإصلاح الاقتصادي االتي تتبعها الحكومـــة " وأضاف، " لم يتأثر أي بنك مـــصر بالأزمـــة ولا أي مـــودع مصري "، وهذا الأمر به بعض الصحة إزاء الاقتصاد العشوائي، والطريقة العشوائية التي يدار بها الاقتصاد في مصر، لذا من غير المعروف كم تأثير الأزمة على مصر، لكن يجب لفـــت نظـــر رئيس الوزراء بأن مثل هذه التصريحات كانت تصدر مـــن دبي قبل أن تنفجر أزمتها الأخيرة بأيام، لذا يجب الانتباه والحـــرص وإعادة جدولة خططنا الاقتصادية حتى لا نقع إلى ما وقعت فيه

إمارة مثل دبي، خاصة أن الأزمة عندنا ستؤدي إلى تداعي أزمات أخرى تحاول أن تطفو على السطح لكننا كالعادة نتجاهلها .

المتناقض في بيان رئيس الوزراء تأكيده أن حكومته نجحت في خفض معدلات البطالة من ١١% إلى ٧,٨% ثم عاد ليؤكد أن نسبة البطالة عادة للزيادة مرة أخرى لتصل إلى ٩,٦% بسبب الأزمة العالمية، في نفس السياق الذي أكد فيه أننا لم نتأثر – على الإطلاق – بالأزمة العالمية .

يستقبل الدكتور نظيف عام ٢٠١٠ ، بتفاؤل كبير، لكنه تفاؤل يخص الأغنياء فقط غير عابئ بما يعانيه المواطن الفقير، فقد كان الوزراء يأتون من بيئة تحس بالمواطن المصري الغلبان ومعاناته اليومية في توفير رغيف العيش أو وجبة لأسرته، ثم أصبح الوزراء يهبطون بالباراشوت بطائراتهم الخاصة وسياراتهم الفارهة والبيزنس الخاص بهم في مصر ودول الخليج وأوربا، لذا لا يضع رئيس الوزراء أو حكومته المواطن في بالهم، حتى التعليم الذي إذا صلح حاله صلح حال البلد كله، أتوا له برجل يقمع كل فكر حر، كان يقمع طلاب يتظاهرون في جامعة عين شمس – أثناء رئاسته لها – لا يطالبون بشيء سوى بعض من الديمقراطية، لذا كان لابد من رد الجميل للدكتور أحمد زكي

بدر .. مبروك عليه الوزارة ومبروك عليه أيـضًا جلوسـه في البرلمان – لأول مرة واستماعه لبيان الدكتور نظيف، وهنيئًا له ولرئيس الوزراء مصر، وغفر اللـه ما تقدم للمرحومـة مـن ذنبها وما تأخر .

٢٠١٠/١/٧

## آنون فتحي سرور

يجلس عمار الشريعي وسليم سحاب ونصير شمة كأن على رؤوسهم الطير، وهم يستمعون إلى عزف الدكتور فتحي سرور، ومصفقين لبراعة الرجل وقدرته على صياغة لحن عالي الأداء ، يكمله الدكتور مفيد شهاب على الدرامز، ولا تحسب أن رفع الأعضاء أيديهم يعني الموافقة بعد sms أحمد عز ولكنها علامة توحد وتوافق مع ما قيل وما يقال وما سوف يقال مستقبلًا .

بانتهاء الدورة البرلمانية ثم حل مجلس الشعب يذهب الدكتور سرور إلى مصيفه العامر لتنتهي معزوفة طويلة عزفها المجلس الموقر على آلام الشعب، فقد شهدت هذه الدورة العديد من القوانين والمرافعات التي لم يذهب أحد ضحيتها سوى المواطن المصري .

أدى الأعضاء دورهم على المسرح ببراعة، لذا يضاف إليهم أعضاء جدد حسب التعديلات الأخيرة التي تم إدخالها على مقاعد مجلس الشعب، لندخل في انتخابات جديدة خلال الأشهر القادمة، حيث سيصل حجم ترشيح المرأة لمجلس الشعب إلى ٥٦ مقعدًا ،ولا خلاف على حق المرأة في الترقي

والحصول على أعلى المناصب في مصر، لكــن الــذي يعرفــه الرجال جيدًا أن المرأة تقع في نهاية المطاف بالنسبة للرجــل في كل القضايا، دائمًا تقع في الصف الثــاني شــاءت الــدكتورة فرخندة حسن أم أبت، ولهذا الأمر عودة آخر للنقاش حولــه، لكني هذه المرة أريد ابداء الإعجاب بالعازف الكبير الــدكتور فتحي سرور – طبعًا كبير فقد دخلت المدرسة على يديه وزيرًا للتعليم ثم شاهدته قائدًا لفرقة من أمهر لصوص سرقة الألحــان والضحك بها على الشعب المصري، ثم إنني لم أر أحدًا يتــولى رئاسة مجلس الشعب الموقر منذ أيام موحِّد القرنين وحــتى الآن سوى فتحي سرور، الذي يتجاوز جلوسه على الكرسي لأكثر من عشرين عامًا، حيث شهد المجلس في عهده أكبر تزوير قــام به بمشاركة ترزية القوانين، ثم كان الداعم لهــروب أعــضاء الحزب الوطني، وتعطيل المشروعات الإصــلاحية والــسماح للفساد بأن يتغلغل في المجتمع من خلال رجال أعمال كــذابين باعوا الشعب واستغلوا عضويتهم في مجلسه للتربح والكــسب غير المشروع، راجع جلسات كمال الشاذلي وإعدام عدد كبير من الاستجوابات في قضية العلاج على نفقة الدولة، وقبل ذلك استضافته لرئيس الكنيست الإسرائيلي روبي ليفلين في مجلــس الشعب وإقامة حفل عشاء له .

إننا أمام رجل لا تعنيه مصلحة الشعب الذي يترأس برلمانـــه قدر مصلحة النظام الذي يجلسه على كرسي البرلمان كل هـــذا العمر .

**٢٠٠٩/٦/١٧**

# كان لازم يموتوا

هاهي مصر الآن ..

رجل أعمال يدفع ١١مليون جنيه لقتل مطربة مغمورة تحب عليه رجلاً آخر – إنجليزي عراقي – وعشرات الأسر تموت تحت جبل المقطم، ليس لعدم وجود مكان يأويهم ولا لقمة طعام طيبة تكفيهم .. ولكنهم أرادوا التصييف تحت الجبل، فقد ملوا التصييف كل عام في شرم الشيخ .. لذا فهم المسئولون عما حدث لهم .

صباح مشرق برائحة الموت التي لا تصل إلى الرئيس مبارك في بابه العالي، ولا تعنيه دموع الثكالى والفقراء الذين يلتحفون العراء ويأكلون الخبز الناشف ويحمدون الله كل يوم أن أعطاهم إياه، رئيساً صادقاً يخاف على رعيته، ويرعاها في أي مكان تكون فيه، حتى لو كان البعير قد عثر في " الدويقة " هذه المرة .

لا أعرف كم مرة سمع فيها الرئيس مبارك عن " منشية ناصر " أو " الدويقة " .. لكني أستطيع أن أخبره الآن عن هؤلاء القوم الساكنين في جمهورية مصر العربية، والذين ينامون بالعشرات في حجرة واحدة، والذين ليست لديهم دورة مياه،

وإذا كانت فهي " طافحة " على الدوام .. عفوا سيادة الرئيس لم أقصد إيذاء أنفك.

وحيث الضياع والزحام والفقر والبؤس تجد الشباب مشردًا يحاول أن ينسى حالته بتدخين البانجو، لذا تجد الرائحة ملعْلعة في الجو كل ليلة .. عفوا أيضا سيادة الرئيس لأنفك للمرة الثانية، فلم أقصد مضايقة الأنف الكريم .

حيث هذه الحالة البائسة يكثر زنا المحارم ، إذ ينام العشرات في حجرة واحدة .. وأقسم بالله أنه سوف يسألك يوم القيامة عن حالات الزنا هذه .

سوف يسألك عن نساء يغتصبن من قبل أي عابر طريق أو أي جبار دون أن تستطيع المرأة أن تدافع عن نفسها ولا عن شرفها، فلا شيء حولها سوى الهواء .

أقول لك — وقد عشت عامًا كاملاً في بداية حياتي في منشية ناصر، ورأيت بعينيَّ الحياة هناك وعشتها، وكنت أحمل جراكن المياه الكبيرة على كتفي ليس لكي أستحم أو أشرب، ويفعل مثلي كل هؤلاء، ليس لأجل الاستحمام أو الشراب، فالحياة لديهم ممتعة وجميلة .. فقط يدربون أكتافهم على حمل الجراكن لدخولهم سباق الأكتاف .

الناس هناك يا سيادة الرئيس تفوح من حماماهم روائح الشامبو المعطر .. وقبل أن يذهب الرجل ليشتري بجنيه فول يأخذ حمامًا باردًا في الجاكوزي الخاص به، ويحرص على نفس الحمام قبل نومه لكنه دافئ .

يقرر الرجل في منشية ناصر والدويقة أن يعمل في المحاجر أو جمع الحديد الخردة ليأكل في نهاية اليوم سيمون فيميه، بل إن سكان الدويقة هم الوحيدون الذين يستوردون الكافيار، ويرسلون طائراهم الخاصة لتأتي بالطعام من الصين واليابان وسويسرا، بل ولقد حكى لي أحد السكان ذات ليلة أنه لم يستطع النوم قبل أن يتناول قطعة شيكولاتة سويسرية حتى ينعم بنومٍ هادئ .

الناس في منشية ناصر والدويقة السبب في الهيار صخور جبل المقطم، إذ كيف يسمحون لأولادهم أن يلعبوا بطائراهم الخاصة فوق الجبل دون الهبوط في مطار القاهرة أو شرم الشيخ، ولماذا لا يبنون لهم مهبط طائرات خاص بهم .. عجيبة .

هؤلاء الناس لم يقبلوا ثلاجات وتلفزيونات ومراوح محمد إبراهيم سليمان نائبهم السابق، فلديهم أحدث الأجهزة والتقنيات، وقد تقول إنني كذاب حين أخبرك أن المنشأ الأصلي

لبيل جيتس " الدويقة " بل وكنت أراه كل يوم يذهب لزيارة خالته في" الحرفيين " .

بالتأكيد لا تعرف هؤلاء الناس الأغنياء إلى حد التخمة، كما لم تعرف قبل ذلك الصعايدة الألف الذين أغرقهم ممدوح إسماعيل في عبَّارته لأنهم كانوا ينافسونه في شركات الملاحة وكادوا يقضون عليه .

ممدوح إسماعيل ما أنت عارفه .. صاحب زكريا بيه .. والذي اسمى فندقه " السلام " تعبيرا عن مرحلتك " السلام في كل شيء.. حتى في الحمَّام ".

كان لابد أن يموت هؤلاء الناس يا سيادة الرئيس فقد شاهدوا الصخرة وهي متدحرجة من السماء، لكنهم راحوا يتابعون الدالي وشرف فتح الباب تقديرًا منهم بأنهم في إيد أمينة وبأنك سوف تدفع عنهم الموت، لا تدفعهم إليه، وتخيلهم – خيال بقى – أنك حين استدركت الخطر المحدق بهم نقلتهم منذ سنوات وبنيْت لهم – مش بفلوسك ما تقلقش – ولكن من منحة حاكم أبوظبي – ١٨٠ مليون دولار – الألف مسكن ليعيشوا وينعموا في شقق لها أبواب.

نسيت أن أخبرك أنه لا يوجد شيء اسمه " باب " في الدويقة أو "منشية ناصر" فتستطيع إذا كحَّيت – مع كل

تقديري لكحتكم الكريمة– يتطاير الباب أمامك .. فأنت عنترة وهي أبواب من قش.

بالتأكيد تخبرني أنها أبواب خفيفة لأنها " بـــامبو " رفاهيـــة ودلع من دلع الصعايدة الذين يعيشون هناك، والذين يضحكون حتى الاستلقاء على كتف الوطن مندهشين من مطاردة عصرك لهم في كل مكـــان، في البحـــر وفي الهـــواء وفي القطـــار وفي السماء..وبالتأكيد سوف ترد عليهم سيادتك : لماذا جئتم إلى القاهرة .. كان بالإمكان أن تظلوا في الصعيد وسوف نرســـل لكم الموت لحد عندكم .

صعايدة قليلو الأدب صحيح .. ما الذي يجعلهم يذهبون إلى رحلة صيد من ميناء ضبا إلى ميناء ســـفاجا في عبَّـــارة .. أو يذهبون للتصييف في منشية ناصر .. وأنت تستطيع أن تجعلهم يصيِّفون على طول ؟

نقول إيه .. ناس غاوية تتعب نفسها ..

نمْ يا ريِّس واسترح فزمانك أخضر وعصرك أحمر، ليس من النار والدمار ولكن من لون الأفراح، نحن لا نحب لون الدم في عصر الريادة وفي اختراع طرق جديدة لقتل المصريين .

لكن يبقى سؤال : لماذا يختار الموت في عصرك الصعايدة قبل الأعياد مباشرة سواء كانوا في قطار أم عبَّارة أم في الدويقة ؟!

# كرسي الوزير

واللــه لا أريد ن أستمتع بمفردي، فقد انتويت الكتابة عن زيارة جمال مبارك إلى بلدنا أبوتشت الطافحة بالبطالة والمجاري والمياه الملوثة، وانتويت الكتابة عن الــوزير محمــد منــصور، وفكرت أن أهديه هذا المقال، وسرحت في خطاب أحمد عــز في دورة " من أجلك أنت لابد أن نعمل فيك حاجات كتير "، لكني أريدك أن تبعد عن كل هذا وتقرأ معي الكاتب الــساخر الأهم في تركيا الآن مظفر إزغو، ولكم أتمنى أن أهديك كتابــه كله " نفق للمشاة "، لكني اخترت " كرسي الوزير" لتعــرف ماذا يكتب الرجل :

أنتم لا تعرفون قصة ذاك الكرسي المسكين . كان حكايــة على كل لسان . صُنِع مسنده الخلفي من خشب الماهوغاني )، وصُنِعت جوانبه من خشب الجوز، واستُخدم الكروم والبرونز في تزيينها .. أما النوابض فمصنوعة من الفــولاذ الــسويدي الأصلي . لكن المسكينة لم تحتمل ثقل كرش الجالس عليها لعدة سنين . في البداية كَبَتْ ألوانها، وفي أحد الأيــام الــتي كــان صاحب كرسيها ممتلئ البطن، كُسرت تلك النوابض، حتى إن السافلة أقدمت على قلة حياء كــبيرة، إذ قرصــت مُــؤَخِّرة صاحبِها القيّمة .

منذ ذلك اليوم انقلب حظ ذلك الكرسي المسكين .

لمن لم يشكل ذاك الكرسي حرقة أو عشقًا ميؤوسًا منـــه ؟ من لم يدخل في حلمه أو يصبح هاجسه الوحيد ؟ ولكن حصل ما حصل وأساء الأدب مع سيده، فقرص مؤخّرته .

اتصل بإدارة مكتبه :

– ارموه، واجلبوا واحدًا جديدًا.

وبسرعة رمى المستخدمون الكرسي خارجًا . جلبوا مكانه كرسيًا أفخم .

كان الكرسي سيبقى ؟! بينما كان السيد معـــاون الـــوزير داخلًا إلى الغرفة الكبيرة في عمل، وقع الكرسي تحت نظره فلم يصدق عينيه .

– سترك يارب، هذا الكرسي هو ذاك ! ولكن لمـــاذا هـــو هنا؟

إنه كرسيٌّ أحلامِه، حبيبه . آه لو جلس عليه ! آه لو بـــرم عليه إلى هذا الجانب أو ذاك ! لم يُنتخب في الدورة الماضـــية، لكنه مصمم على ترشيح نفسه هذه الدورة . النيابة أولًا، نعـــم .. ثم، أف .. انتصب شعر رأسه، وتطاير الشرر من عينيـــه .. حسنٌ، ولكن لماذا هذا الكرسي هنا ؟

قال رئيس المستخدمين :

أمر سيادته برميه خارجًا .

هاتوه إلى غرفتي .

استغرب كيف أصدر قراره لحظتئذ . استبدل المعاون كرسيه المصنوع من خشب الجوز فقط، بهذا الكرسي المصنوع جزء منه من الكروم، وجزء من البرونز، ولكن بعد أن أعيد ترتيب نوابضه طبعًا . صيانة محدودة أدت إلى إنهاء قلة حيائه . لقد ناسبه إلى حد .. لا، لا، في الحقيقة، السيد المعاون هو الذي ناسب الكرسي .. إنه رجل ممتلئ وناضج . هذه الكراسي صنعت خصيصًا للرجال الممتلئين والناضجين . ولكن كيف يجلس الوزير على هذا الكرسي غير المناسب له مطلقًا ؟

كان المعاون مسرورًا إلى أقصى حد .

يغوص البعض في الأحلام فيصبحون نوابًا، ثم وزراء، ثم يجلسون على الكراسي .. حينئذ غاص أكثر في الكرسي، ولكن لم يدم هذا الحلم طويلًا . كان مدير مكتبه يتصل به هاتفيًا :

- السيد الوزير يطلبكم يا سيدي .

صعُب عليه الابتعاد عن أحلامه، وقال بداخله :

- كرسي الوزير شيء مختلف .

لم يستقر الكرسي في مكانه الجديد طويلًا . أقدم على عمل مشين جدًا بحق السيد معاون الوزير . كان يصبغ مؤخرتــه . نعم، نعم، يصبغها في الأيام الأولى بلون أحمر فــاتح، ولكنــه زادها عندما بدأ يصبغها بلون أحمر غامق . حمــدًا للـــــه، أن زوجة السيد معاون الوزير هي أول من انتبه :

- أتجلس على الدهان ؟

ما عمل معاون وزير بقدر الدنيا فوق الدهان ؟ إذا كان ثمة من يُقْدِم على عمل كهذا، فليس هنالك إلا ذاك الكرســـي . مسح معاون الوزير مكان جلوسه، فصبغ المنـــديل بـــالأحمر . أخرج مستخدمان كرسي الوزير من غرفة المعاون، وبينما كانا يعبران به الممر كان السيد المدير العام خارجًــا ليبـــول . رأى الكرسي فتوقف .

- يا اللـــه ! إنه هو .. إلى أين يُحمل فوق الأيدي ؟

سأل، وتلقى الجواب . ممكن تغيير جلده . يمكن أن يُجلس عليه إذا غُيِّر جلده .. نعم، نعم، يمكن الجلوس عليه .. فكّـــر المدير العام برهة .. كأنه لا يستطيع ترشيح نفـــسه إن أراد، أو لا ينتخب لو رشح نفسه، ولا يصبح نائبًا إذا رغب، ولا يتسلم الوزارة لو أنه طلبها، وهل هو أقل ذكاء ممن يتسلمون ؟ إنه من

الممكن أن يتسلم، ثم يصبح شكله مختلفًا لو جلس عليه .. قبل كل شيء يكفيه هذا الصوت الرخيم . ما صوت الوزير هـــذا الذي يشبه المنشار، لا أحد يفهم عليه، أو صوت معاونه الرفيع الذي يشبه صوت المرأة . أما صوته، أوووه .

هاتوه إلى غرفتي !

أمرك يا سيدي .

لبس الكرسي ثيابه الجديدة . لم يكن لباسه الجديد أحمر، بل بني .. وبدا جليًا أن اللون الجديد ناسب أكثـــر بكـــثير لـــون خشب الماهوغاني .. وحتى اللون البرونزي . ولأول مرة برزت أقسام الكرسي المصنوعة من الكروم . جلس على الكرسي في وقت كانت غرفته فارغة . تذكر جدته عندما كانت تقول :

– لو جلست على بساط فلان المعظم تصبح بعظمته .

ليس ثمة بساط الآن . ثمة كرسي . ما دام يجلـــس علـــى كرسي الوزير فلابد أنه سيصبح وزيرًا في يوم من الأيام، ثم إن فوزه في الانتخابات ليس شرطًا كي يصبح وزيرًا . ثمة مقاعـــد وزارية تملأ بالتعيين .

مسك الكرسي من مسنديه، وأداره إلى هذه الناحية، ثم إلى تلك .. نعم، إن هذا الكرسي يناسبه أكثر من أي شخص آخر . في المساء، عندما ذهب إلى البيت، تعالى على زوجته قائلًا :

- أصبحت أجلس على كرسي الوزير .

آه لو أن الكرسي استقر في مكان . هنا أيضًا لم يستقر طويلًا . فجأة سقط مسنده الخلفي الضخم المصنوع من خشب الماهوغاني دون أي سبب وضجّ ضجيجًا قويًا . قفز المدير العام معتقدًا أن زلزالًا قد حدث .. صرف من جيبه على تركيب المسند الماهوغاني . لكنه لم يثبت طويلًا أيضًا . من الممكن أن يسقط في زمن غير مناسب، فيرعب بسقوطه من سيكون في الغرفة .. اعتاد العاملون هناك على سماع هذا الضجيج، فعندما يسمعونه يقولون :

تمام، لقد سقط المسند الخلفي لكرسي المدير العام .

حسن، ولكن كيف يفارق الكرسي ؟

آه، هل يفارق الإنسان حبيبته بهذه السهولة ؟

نعم يفارق الإنسان من يحب إذا كان سيصبح مسخرة العاملين هناك . آه لو أنك أبقيت على بعض المسامير تمسك مسندك الخلفي، ولا تسقطه بين فترة وأخرى يا كرسيّ العزيز، فلن يحدث هذا .. أمر هذا الصباح برميه خارجًا .

أحب رئيس الشعبة الكرسي بما هو عليه . ما له هذا الكرسي المسكين ؟ إنه لم يقع تحت يد معلم ماهر، خاصة إذا كان المعلم ذاك الذي يعمل في حارتنا . ليشغل أدواته

الكهربائية، وليحفّ المكان الذي يحتاج إلى حف، ولـيلحم المكان الذي يحتاج إلى لحام، وسترى إذا كان سيتحرك ؟! هذا الكرسي أكثر الكراسي خصوصية .. إنه كرسي الوزير ... بما أنه لا أمل لنا بالجلوس على كرسي الوزارة مستقبلًا، لنجلس عليه الآن خاصة أنه موجود ... ولكن لا أحد يعرف ما الذي تخبئه الأيام . ما المستحيل في هذه الدنيا ؟ ثم من الذي يفهم أعمال الوزارة ؟ الوزير ؟ لا يمكن .. معاونه ؟ لن أستطيع مسك نفسي عن الضحك .. المدير العام ؟ لا تدغدغني ! لأنه أولًا لا ينتمي إلى هذا السلك . أصبح بطريقة ما مديرًا عامًا، لا أدري إن كان قريبًا للوزير أم ثمة علاقة أخرى ؟ وجد أن الإدارة تناسبه أكثر من أي شخص آخر ؟ حاجباه الغليظان، وفمه الأشبه بالسكين، وشعره الأبيض، وحذاؤه الأسود اللامع يليق بكرسي الوزارة هذا أكثر من أي شخص .

ثم أسأل نفسي : " أي رئيس شعبة من شعب الوزارة يستطيع وضع مؤخرته، كما أستطيع أنا وضعها على كرسي الوزارة ؟ " سأل نفسه هذا السؤال، وأصبح سعيدًا .

نادى سكرتيرته :

– كيف الكرسي يا آنسة آيتان، جميل ؟

قالت الآنسة آيتان بقصد المراءاة فقط :

كيف لا يليق بكم يا سيدي .. كيف لا يليق بكم يا سيدي .. كيف لا يليق بكم يا سيدي ؟

أعادها ثلاث مرات مثل الببغاء .

عبء أعمال الوزارة كلها على كتفيكم يا سيدي . ثم إنكم أحسن شخص يفهم بتسيير الأمور في الوزارة . حتى إن السيد الوزير يناديكم عندما يقع في مأزق مسلكي . ثم إنكم لو رشحتم نفسكم لنجحتم . آه يا سيدي ! أنا أمنحكم صوتي، حتى من الممكن أن تصبحوا رئيسًا للوزارة .

آه .. لم ترتفع عيناي إلى علو كهذا يا آنسة آيتان .

بعينيّ، هذا ممكن لكم يا سيدي . أنتم على قدر كبير من المعرفة والنشاط ياسيدي، ثم ..

كاد الكرسي أن يصيب رئيس الشعبة بعاهة مستديمة . أسقط بعد ظهر أحد الأيام رئيس الشعبة وفنجان قهوته إلى الخلف .. اندلقت القهوة على وجهه، وعُصِرَتْ رجله بين الكرسي والطاولة، ولأن وزنه مئة كيلو جرام، لحقت به آيتان وساعدته على الخروج .

هنا أيضًا أظهرت مراءاها قائلة :

- لاخ، لاخ، لاخ .. لو كان غيركم لما خرج سليمًا من هنا .. ألف ماشاء الله يا سيدي .

أول كلمة قالها السيد رئيس الشعبة بعد أن نهض على قدميه: " خذوه " وأضاف :

- لا أريد أن تقع عيناي عليه .

قالت آيتان :

- كاد أن يقتل السيد رئيس الشعبة .

بسرعة، نصّب معاون رئيس الشعبة نفسه صاحبًا للكرسي . لم يكن ضخمًا كرئيسه . وزنه ثلاثة وخمسون كيلو جرامًا . ماذا سيحدث لو اتكأ عليه ثلاثة وخمسون كيلو جرامًا ؟ خاصة إذا كان المُتَّكَأ عليه كرسي الوزير . لو أعيدت النوابض إلى الداخل، ودُقَّتْ هذه القائمة، ورُكّب له برغيٌّ هنا سيصبح على مايرام . لم يمض زمن طويل – بعد خمسة عشر يومًا – جعل الكرسي معاون رئيس الشعبة يحصل على تقرير طبي . كُسرت يده من الرسغ، حيث استقرت تحت الكرسي الضخم الثقيل، كما ازْرَقَّ كتفاه .

لم يبق الكرسي وحيدًا في الخارج مدة طويلة . أخذه الموظف حسني .. قال له أحد زملائه :

- لا تعملها يا حسني ! أنت راجح العقل . رأيت بعينك ما فعله بالسيد معاون رئيس الشعبة، حتى ما فعله بالسيد رئيس الشعبة .. ارجع عن هذا الهوس !

لكن السيد حسني تحدث عن نوح، ولم يتحدث عن محمد .

- لا، لن أرجع عن هذا الهوس .. كيف أرجع عنه ؟ غــدًا ماذا سأحكي في القهوة ؟ سأقول لهم : يا شباب، جلست على كرسي الوزير والحمد للــه، جلست على كرســي معــاون الوزير والحمد للــه، جلست على كرسي المدير العام والحمد للــه .. نعم هذا هو صديقكم حسني .

- حسن، يا أخي حسني ! لعل فكرتك صائبة بنسبة كبيرة، ولكن فكر بأولادك، وأشفق عليهم فيما لو أصبت بمكــروه في رأسك أو عينيك .

- أنا سأجلس عليه يا إخوان .. سأجلس على هذا الكرسي وليكسر رأسي، وينقسم إلى نصفين مثل بطيخة .. ســأجلس عليه .

لكنه استطاع الجلوس عليه لمدة أسبوع واحــد .. ســحبنا النوابض من مؤخرته بأيدينا، وكلما قال : " أرجــوكم .. آخ آخ " نقول له :

- اصبر على نفسك، بقي نابضان .

هنا يصرخ :

- وهل هي داخلة حلزونيًا ؟

لم يستطع السيد حسني الجلوس على مؤخرته مدة شـــهر، لكنه سعيد، ويقول :

– آه لما سأحكيه في القهوة عندما سأتقاعد.

أتسألون عن الكرسي ؟

لا يا أعزائي ! وَجَدَ له صاحبًا .

قيل : " ارموه من هنا كي لا يراه أحد ! " لكن الكرسي لم يُرمَ .. أخذه المستخدم إحسان مساء آخر أيـــام الأســـبوع إلى بيته . وثقبه من وسطه، وركّب له مقعدة، ثم قفز ابنه عثمـــان وجلس عليه .. قال له :

اعتبارًا من الآن، تَبَرَّزْ على راحتك .

٢٠٠٩/١١/٤

## ولد حسني مبارك

ده جمال ولد حسني مبارك .

قالت امرأة من بلدي أبو تشت وصمتت، لم أعرف إن كان هذا سؤالًا أم تعليقًا أم تأكيدًا .

هي لا تعرف سوى أن حسني مبارك هو رئيس مصر منذ أيام الملك فاروق، وأن جمال هذا ابنه جاء ليفرق على الناس أموالا، بل وأنه يذهب كل شهر إلى قرية يختارها له مصباح علاء الدين ليفرق أمواله فيها على الغلابة .

مسكينة هذه السبعينية الطيبة لو تعرف القراءة والكتابة أو حتى تشاهد إعلانات الحزب الوطني في التليفزيون لعرفت أن جمال مبارك وأباه وحزبه سخروا أنفسهم لأجلها وأجل عيونها، بل وأكدوا لها الأمر مكتوبًا بشعار الحزب الوطني " من أجلك أنت " .

وحتى لاتخرج من أبو تشت وزيارة السيد جمال مبارك إليها دون فائدة أود أن أقدم له نقاطًا يتميز بها مركز أبو تشت وهو أول مركز في محافظة قنا، حيث يقع جنوب محافظة سوهاج، ومن مميزاته التي لم يلتفت إليها ولد حسني مبارك :

- تختلط مياه الصرف الصحي بمياه الشرب في أغلب الوقت، لذا ينصرف الأهالي إلى الشراب والاستحمام من مياه الطلمبات .

- يعيش أكثر من نصف أهالي المركز في فقر مدقع، حيث تضطر بعض الأسر إلى الاعتماد على جاموسة عُشر للإعالة الكاملة، حيث تشرب الأسرة من لبنها – بعد الولادة طبعًا وبيع المولود – وتصنع منه رائبًا وجبنًا وتبيع السمن في سوق قصير نجانس يوم الخميس وسوق السبت في نجع سباق .

- يوجد أكثر من ١٢ كوبريًا يتم إعادة الأجزاء المفقودة لها بسبب حوادث تثبت أن الكوبري عمره الافتراضي انتهى مثل كوبري الحبيلات الشرقية وكوبري أبو حمار وكوبري الأميرية الذي نال حظه من الإصلاح .

- البطالة أدت إلى انشغال أغلب الشباب في البحث الوهمي عن الآثار .

- لا يوجد مصنع واحد في مركز أبو تشت والقرى التابعة له لينقذ شبابها من البطالة .

- القبلية هي التي تتحكم في انتخابات مجلس الشعب، حتى الشباب ذوي المؤهلات العليا ينغمسون في القبلية بدلاً من أن ينقذ أهلهم منها كردون المباني .

- قصر الثقافة في الكرنك رصدت له ميزانية ربع مليـــون جنيه مسرح وسينما وكتّاب و لم توضع فيه طوبة واحدة .

- الغربة الداخلية والخارجية لدى الـــشباب وســـفرهم إلى دول الخليج خاصة المملكة العربية السعودية ويعملون بـــ ٦٠٠ ريال سعودي في الشهر .

- لا يشجع الأهالي بناقم على التعليم العـــالي إلا قليلًـــا، وذلك نتيجة لبعد فروع الجامعات عنه.

- مستشفي أبو تشت به وحدة كلى لا تعمل، ولا يوجـــد بها ما يسمى بالإنقاذ العاجل، ولكي يتم إنقاذ مريض يتم نقله إلى محافظة أسيوط، والمسافة بين أبو تشت وأســـيوط تكفـــي لموت المريض وخروج روحه وحسابه وتقرير مصيره إن كـــان في الجنة أو في النار .

- توجد مساحة شاسعة من الأراضي غير المستثمرة في الجبل التي تأوي مسجلي الخطر والهاربين من القانون .

- إذن هذه مميزات يعرف السيد جمال مبارك اكتسبناها من والده، ونتنظر أن يضيف إليها الكثير حين يجلس على كرســـي والده، الذي يقتل الشعب كله لأجل أن يجلس عليه حاكمـــا وإلها .

**٢٠٠٩/١/٢٧**

# لا تعيشُ السُّيوفُ بالإحسانِ

بينما كان الرئيس مبارك يشارك في القمة الدولية عن الغذاء وتوفيره لفقراء العالم في إيطاليا كان فقراء مصر والجزائر يتضاربون مثل عصابات شيكاغو. راحت العصابات الجزائرية تهاجم مجموعة من جمهور الكرة المصرية ذهبوا لتشجيع منتخبهم في الخرطوم فوجدوا ألف سلفستر ستالوني يحمل كل منهم خنجرًا تحت طيَّات ملابسه .. وجدوا ألف عربي من جنسهم ودينهم يسعى إلى قتلهم .

المسألة تتجاوز بمراحل ماتش كرة قدم بين فريقين، المسألة مسألة فقر وقمع وقهر تعاني منه الشعوب العربية وتبحث عن فش غلها في أي شيء وإخراج صوت عالٍ، ويا جماله لو كان الموضوع ماتش كورة، ما حدث نتاج تراكمات طويلة من شعوب تعاني من التخلف عبر سنوات من حكم متسلط يوزع دخل البلاد على مجموعة من الأذناب يرتعون في النعيم، بينما باقي الشعب يجري جري الوحوش لتوفير طعام اليوم الواحد.

لقد فرّغ الشعب شحنة الغضب التي حملها في شعب آخر شقيق لا ذنب له سوى احتوائه لأغلب الدول العربية ولعب دور الأم التي تطبطب وتحنن وتصالح، في لحظة واحدة نسي شعب الجزائر دور مصر منذ جمال عبد الناصر وحتى حسني

مبارك، وراح يطارد مواطنين مصريين عزل جمعهم حب الرياضة في بلد آخر شقيق هو السودان، بينما الرئيس بوتفليقة يجلس على كرسيه الذي جاء عليه عبر انتخابات ديمقراطية — (ديمقراطية أم ترتر) — بـ ٩٩% فشر ولا أجدعها طالب في الثانوية العامة عندنا .

كان بإمكان مصر أن ترسل قوات خاصة إلى السودان وتذبح كل هؤلاء المشجعين الجزائريين، كان بإمكان مصر أن تمحوهم كما الريح مع أوراق الشجر، ومصر تعرف وساستها يتوقعون، لكن مصر أبقت على شعرة معاوية أملاً في أن يستوعبوا الدرس لكن يبدو أن الشعوب العربية تنظر لمصر على أنها ضعيفة لا تستطيع أن تتحرك قيد أنملة أو تتخذ موقفًا، لكن المسألة ليست مسألة شعارات تستطيع مصر — وهي تمتلك ذلك — أن تأخذ حقها كما تريد وكما تشاء، ليست المسألة شوفينية ولا صلفًا، ولكن يبدو أن البعض نسي أن مصر حمته بدم جنودها وأنه لولاها ما كان في العديد من الدول العربية لا سياسة ولا جيش ولا تعليم ولا طب، لكن قدر الكبير أن يعاني حسب قول نزار قباني : " آه يا مصرُ .. كم تعانين منهم، والكبير الكبير .. دومًا يعاني .

لمن الأحمر المراق بسيناء، يحاكي شقائق النعمان ؟ أكلت مصر كبدها وسواها، رافل بالحرير والطيلسان، يا هوان الهوان.. هل أصبح النفط لدينا .. أغلى من الإنسان .

أيها الغارقون في نعم اللــه، ونعمى المربرات الحسان .. قد رددنا جحافل الروم عنكم، ورددنا كسرى أنوشروان وحمينـــا محمدًا .. وعليًا، وحفظنا كرامة القـــرآن .. فـــادفعوا جزيـــة السيوف عليكم، لا تعيش السيوف بالإحسان .

سامحيني يا مصر .. إن جمح الشعر، فطعم الحريـــق تحـــت لساني، سامحيني .. فأنت أم المرُوءاتِ، وأم السماح والغفران ..

سامحيني .. إذا احترقت وأحرقت، فليس الحياد في إمكاني .

مصر .. يا مصر .. إن عـــشقي خطـــير، فـــاغفري لي إذا أضعت اتزاني ".

**٢٠٠٩/١١/٣٠**

# من أين لك بكل هذه الدرر

عشرات الصفحات المسودة بآلاف الكلمات من الحـــروب اللبنانية الداخلية التي لا تعرف في نهايتها من الذي انتـــصر، إلى إيران وسلاحها النووي وشيعتها وتزوير انتخاباتها مع الثبـــات على قضايا الشأن الداخلي وقصائد مدح الأب والابن .

يا سيدي من أين تأتي بكل هذه الصفحات كل يوم، وهل تعتقد أن هناك من يقرأ كل هذا حتى لو كان من تكتب عنه ؟

لو عادت أم كلثوم – بكل روعتها – ثم راحت تزيد وتعيد في وصلاتها الغنائية لما استمع إليها أحد ممن تكتب لهم ، فـــلا تعتقد أنك أم كلثوم ، فقد غاب زمن " السمِّيعة " و" الهتِّيفة ".

إنني أظل أدور حول نفسي لأجل ٥٠٠ كلمة أكتب بهـــا مقالي الأسبوعي ، أنظر للناس المارين في الشوارع في بلاهـــة ، أقلب أوراق كتبي سارحًا في اللاشيء، أعود إلى أقلامي الملونة وإلى أوراقي البيضاء التي هجرتها طويلاً بسبب الكي بورد، وفي أوقات أخرى أتحول إلى مدرس ريفي ينـــزل ضربًا في التلميذ لكي ينطق، حتى يخيل إليّ أنني أمسك بعضا وهات يا ضرب في أقلامي وأوراقي، ولكن لا مجيب .

إنني أحسدك على كل هذا " الإسهال " ، لكـــن باللـــــه عليك وفر عليّ الوقت والعذاب، وقل في خمسمائة كلمة، فلا الوقت يتسع ولا مسئوليات " الحزب " تترك من تكتـــب لـــه يتابع كل هذا السيل ..

زمان كان رؤساء التحرير يكتبون افتتاحية الصحف، الآن رؤساء التحرير يكتبون الصحيفة كلها من أولهـــا لآخرهـــا في حديث عن الشفق الذي هبط إلى الأرض وسكن دبابير الظلام ونام في حضن الإخطبوط وخرج من العش وطـــارد الكلـــب العصفور فهرب العصفور إلى الكوبري الدائري فزنقه أبو العلا عند الوكالة.

أنت بتقول إيه .. أنت بتكتب لي أم تكتب له .

رحم اللـــه فاطمة يوسف .

## ياواد إدوجا

يا أخ إبراهيم ويا أخت أميمة ويا أخ كنتالوب، ويا كل الإخوة الذين يريدون النصب عليّ في واد إدوجا وبنوك إفريقيا و Bank of Africa ( BOA) .. هذه اللعبة لا تصلح معي وليس لدي فلوس لأرسلها لكم عبر الوستيرن يونيون، ولا عبر اليونيون إير، فنرجو التكرم بالكف عن تعذيبي بعشرات الإيميلات اليومية التي تخبروني فيها أن هناك رجلًا مات في أحداث ١١ سبتمبر، وترك في البنك ١٤ مليون دولار، وليس لديه أقارب، وتريدون تحويل المبلغ عليّ مقابل حصولي على ٣٥% من المبلغ ، أو الذي مات في الحرب الأمريكية على العراق وترك لديكم ٤٠مليون دولار ، وتريدون تحويلها لي ونقسم مع بعض ، أود أن أقول لكم إنني أحب الفلوس شريطة ألا تتجاوز المليون جنيه مصري لأن الخزنة التي أمتلكها لا تتسع لسواه ، ولأنه المبلغ الذي أحلم به، لكن ١٤ و ٤٠ مليون دولار وهذه الحكايات التي لا تسمن ولا تغني ولا تملأ جيوبي لا أحتاج إليها .

منذ عام والرسائل تتواصل على إيميلي بلا انقطاع ، وهي محاولة من محاولات النصب ، كان آخرها الأسبوع الفائت

حيث أرسلت لي – " أخت " هذه المرة رسالة تخبرني فيها أنها وحيدة وتبحث عن أصدقاء في أماكن مختلفة من العالم ووجدت إيميلي بالمصادفة – كان ماشي يتفسح في شارع من شوارع إفريقيا وتريد علاقة صداقة بيننا " مشروطة " بخدمة، وهي أن أساعدها في نقل الأموال الخاصة لأي بنك من البنوك المصرية – ثقة في بنوكنا التي لا يستطيع أي رجل أعمال أن يهبر له هبرة منها ويخلع على لندن – وباسمي لأتحول بين يوم وليلة إلى واحد من أثرياء العالم ومعه فتاة وحيدة وجميلة تحمل ملامح الجمال الإفريقي ، وكل يوم أقضي وقتًا كبيرًا وسهم الماوس لا يتحرك عن delete والإخوة مازلوا يحاولون بيع العتبة الخضراء لي ، باعتبار أن جدي الصعيدي اشتراها قبل ذلك .

الإخوة الذين يدّعون أنهم من بوركينا فاسو ، يعملونها كثيرًا، لذا فإن رائحتهم فاحت ، وكفى نصبًا باسم القارة الإفريقية .

إريحوني أو ليريحني الله منكم ومن واد إدوجا ومن نصبكم الإلكتروني .

## لا تحاكموا وزير الإسكان

١٠ سنوات ظل فيها صديقي محمد سعد خطاب – الـذي كان يعمل في وزارة الإسكان وتحول لصحفي تخصص إبراهيم سليمان – يقاتل بالكلمة ويكشف بالمستندات والأوراق فساد محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان الأسبق .

١٠ سنوات جاب فيها مصر كلها، دفع من جيبه للحصول على وثائق وأورواق تدين سليمان، ودفع من جيبه لبعض الذين يرتزقون من الكلمة لنشر الحقائق .

١٠ سنوات لم يستجب أحد له، لم يسأله أحـد إن كـان على حق أو على باطل، ظل الدكتور إبراهيم سليمان بسطوته وأساطيله، يوزع بيمنته ويسرته ما أراد وما لم يرد النظـام، لم يقل له أحد " بم " .

١٠ سنوات كتب فيها ملايين الكلمات ومئات الصفحات عن فساد وزارة الإسكان في عهد محمد إبراهيم سـليمان و لم يتحرك أحد، ولا قال له مسئول في الدولة كان صغيرًا كان أم كبيرًا " أنت رايح على فين ".

١٠ سنوات من الفساد كافأه النظام بعدها براتب لا يحلـم به أي مسئول في الدولة حتى انتبه فجأة وأوقفـه وحولـه إلى التحقيق ومنعه من السفر .

الذي يجب التحقيق معه ومنعه من السفر وإحالته إلى المعاش هو النظام الذي ترك إبراهيم سليمان يرتع في البلد أينما شاء وكيفما شاء، فما حدث يشبه الأعمال السينمائية التي تتناول حياة تجار المخدرات، حيث يعيش طوال حياته في سعادة وراحة ومتعة ثم يموت في آخر مشهد من الفيلم .

المشهد الأخير في قضية إبراهيم سليمان جاء متأخرًا ١٠ سنوات، ليثبت نظامنا الموقر أن أي مسئول يستطيع أن يعيث الأرض فسادًا حتى يتم تكريمه ثم يأخذه إلى عدم حسن الختام .

يتم الآن إعداد تقرير حول ممتلكات الوزير وفحص المستندات المقدمة منه — من قبل خبراء وزارة العدل — وذلك لمعرفة إن كان قد تربح من أعمال وظيفته من عدمه، وكذلك حول تخصيصه ٣ فيلات متلاصقة في مارينا لأبنائه الثلاثة وعدد من الفيلات لأقارب زوجته ورجال الأعمال .

ترى إذا ثبت هذا الأمر لدى الخبراء، فماذا سيتم إذًا حول عشرات الفيلات الأخرى التي منحها سليمان للوزراء والمسئولين في مارينا بأبخس الأسعار .

مازالت دموع المهندس ممدوح حمزة ترتسم أمامي مع صوته المبحوح في الحوار الوحيد الذي أُجري معه حين ألقت شرطة اسكوتلانديارد القبض عليه، وقد طلب مني شقيق

زوجته وقتها الدكتور أسامة الغزالي حرب شـريط التـسجيل الذي سجلته المحكمة البريطانية له .

قال لي ممدوح حمزة بالحرف " محمد إبراهيم سليمان أفشل كل مشروعاتي في مصر، أفشل كل المشروعات الحقيقية لتطوير مصر، ويجب محاكمته، وطالما لا يوجد من يقول لسليمان "لا " فسوف أهاجر من وطني، سأبحث عن وطنٍ آخر أحقـق مـن خلاله مشروعاتي ".

بعد أن نشرت جريدة الأهرام حواري مع الدكتور ممـدوح حمزة لم يهتم أحد سوى أقلام شريفة مثل مجدي مهنـا، عبـد اللـه السناوي، عبد الحليم قنديل، تناول مقال كـل منـهما الحوار وما فيه والذي يعتبر إدانة واضحة لمحمد إبراهيم سليمان، لكن لم يتحرك أحد .. لماذا ؟

لأن النظام الميمون اعتاد تثبيت ورفع كـل مـن تهاجمـه الصحافة وتكشف فساده، كلما نشرت الصحف عن فـسادك كلما ترقيت في المناصب، فعيب كبير أن يتم الكشف عن فساد وزير حالي، لابد أن يحمل لقب سابق حتى يستطيع محاكمته أو إلقاء أوراقه على قارعة الطريق .

وكما يقولون عندنا في الصعيد " بعد ما خربها ".

لقد خربت مالطة لكننا لن نكف عن الأذان .

**٢٠١٠/٢/١٧**

## اغتصاب بغداد في علبة ليل

قضيت ليلة ذكرى اغتصاب العراق في علبة ليل مع مسئول عراقي كبير التقيته في دبي، وأصر علـــى أن يـــسهر في أحـــد الكازينوهات لأنه ملٌ من المكاتب والإعلام والكراسي الوثيرة والحديث في السياسة، ولما أبلغته أن سبب لقائي إيـــاه لـــيس صداقتنا القديمة فقط ولكن لمعرفة آخر التطورات في الحكومـــة العراقية، وماذا سيفعلون في الأيام القادمة ؟!

في علبة الليل كانت هناك ست فتيات يتراقـــصن علـــى " الستيدج " ، وبينما كان يرفع كأسه ملوحًا للراقصات اللواتي ظهر بعد ذلك أهن " عراقيات " (!!) رحت أسأله عن القضية، فقال لي أية قضية، لقد خرج من العراق من يملكـــون المـــال ليسكنوا البلاد العربية التي لم تعد تقبلهم أخـــيرًا، وهـــا هـــم العراقيات وجدن لهن مهنة في الحانات، والحكومة تتخذ قرارات تعرف أنها لن تنفذها، والجنـــود الأمريكيـــون والبريطـــانيون يطاردون من يدافعون عن بلدهم، ويقتلون ويغتصبون النـــساء الشريفات اللواتي رفضن المتاجرة بشرفهن وإيثار الموت علـــى الخروج من وطنهن، وأنا كما تراني أمامك، أقول لك كلامًـــا لن أقوله خارج هذه الحانة، وألعب سياسة كما يروق للرؤيـــة الأمريكية، اسكت يا رجل هذه نوبة صراحة، دعـــني أقولهـــا

مدعيًا أني تحت نوبة سكر، وفي آخر الليل ترافقني صديقة لا لشيء إلا لتسندني حتى أصل إلى السرير وأغط في نومي .

رغم وجود العديد من الساسة العراقيين السابقين والحاليين في دولة الإمارات العربية المتحدة، فإنني في جولتي في دبي وأبو ظبي والعين أصريت على لقاء هذا الرجل لعلاقة ود قديمة تجمعنا، ولأنه لا يكذب عليَّ ولا يتعامل معي بدبلوماسية كما هي عادة أغلب الساسة لدينا الذين يعيشون بوجهين .. وقد حزنت كثيرًا لمرآه عشية ذكرى غزو العراق، فقد رحنا نتحدث عن وطن مذبوح من الوريد إلى الوريد، لم يتحرك شنب حاكم عربي واحد لإلقاء كلمة في هذه الذكرى الأليمة – ( بالمناسبة أغلب حكامنا صاروا بلا شوارب، ولا أعرف هل لما يحدث للبلاد العربية وهل لهذا الأمر علاقة أم لا ) – فقط راحت بعض الصحف تكتب على استيحاء، أو تستعين بملفات من الأرشيف أو الإنترنت عن العراق، ولم يتم استدعاء كاتب حقيقي واحد للكتابة عما آلت إليه الحال؛ من الذين تابعوا الاحتلال الأمريكي عن قرب، كالمحقق الأمريكي الأشهر سيمور هيرش مثلاً أو الذين عاصروا هذه الحرب عن قرب، ومحاكمة العرب الذين شاركوا في تدمير ومسح هوية بلد بهذه الطريقة، ولم يتم الكشف عن الخداع الحقيقي في حرب بوش على العراق، وكيف استطاع إقناع الشعب الأمريكي بأنه يجب التخلص من صدام حسين ومن يديه الملوثتين بالدماء، ولم يتوقف أحد للتأمل من بداية الأمر مثلما توقف شيلدون

رامبتون وجون ستوبر في كتابهما " أسلحة الخداع الشامل، استخدام الدعاية في حرب بوش على العراق "، حيث كشف الكتاب أن كبار مسئولي إدارة بوش دعوا لاحتلال العراق قبل أن يتولى بوش منصبه، وانتظروا حتى جاء سبتمبر ٢٠٠٢ ، ليعلنوا من خلاله العملية التي أسموها " جرح المنتج "، والتي أكدت أن صدام حسين هو الذي رعى هجمات ١١ سبتمبر، وقدموا آلاف الوثائق التي تثبت أن صدام حسين لديه مخزونًا احتياطيًا من الطاقة النووية والأسلحة المحرمة يستطيع به تدمير الولايات المتحدة بالكامل، ولما عكف العلماء المتخصصون على دراسة الأمر كشفوا أن صدام حسين لا يمتلك إلا فانلة داخلية تصد عنه البرد ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بالأسلحة المحرمة، إلا إذا كان بوش يعتبر أن الملابس الداخلية نوع من أنواع الأسلحة المحرمة .

المذهل في الكتاب كشفه أن هناك شركات علاقات عامة تعاقدت مع الحكومة الأمريكية في إدارة السياسة الأمريكية وإدارة الحرب على العراق وأفغانستان، وما أسموه الحرب على الإرهاب، بل وكانت هذه الشركات تدير المعارضة العراقية في الخارج .

بل ويكشف الكتاب كيف تورطت الحكومة الكويتية وأسهمت بالخداع في احتلال العراق عبر شركة العلاقات العامة هيل إندنولتنون، فقد خرجت طفلة عبر شاشات

الفضائيات وهي هلعة وخائفة معلنة أن الجنود العراقيين دخلوا المستشفي الذي كانت مريضة فيه وألقوا أطفال الحضانات على الأرض وأخذوا الحضانات، و لم تكشف هذه الطفلة وقتها هل كان الجنود العراقيون بحاجة إلى " نمو " مثلاً أو إلى تربية وإعادة تأهيل، و لم تعرفنا الهدف من استيلاء الجنود العراقيين على الحضانات، خلاف قسوهم، ولكن يبدو من كلامها أن صدام حسين احتل الكويت لأن العراق كان بحاجة إلى حضانات .

وما كشفه الكتاب أن هذه الطفلة ما هي إلا "نيرة" ابنة سفير الكويت في واشنطن .

وأن عدد الحضانات لم يكن بالمئات في الكويت كما ادعت نيرة ذات الخمسة عشر ربيعًا، كلنا ندين ما حدث للشعب الكويتي من احتلال وتدمير، ولكن آن الآوان لينسى الشعبان خلافاتهما، فقد رحل الذي تسبب في كل هذه الحروب، ويجعلنا أيضًا ندين تلك اللعبة القذرة التي تمت من قبل الأمريكان وشركائهم في الكويت، فيعلق خبراء الإعلام على سبيل المثال عن الأعلام الأمريكية التي رفعها الكويتون وهل كان لديهم وقت لشراء الأعلام أم كانوا مشغولين بالتخلص من آثار الاحتلال العراقي ؟!

لقد اعتمدت إدارة الرئيس الأمريكي على جاك ليزلي، مدير عام شركة ويبر شاند ويك ووررلدوايد، وهي من أهم

الشركات في العالم في مجال العلاقات العامة، واقترح ليـــزلي أن يتم استخدام مبدأ كولن باول العسكري، ويعني عدم ترك أي نافذة يمكن عبرها توصيل رسالة الولايات المتحدة، كما حدث في أفغانستان قبل ذلك، بإنشاء مكتب إعلامـــي مركـــزي في واشنطن ولندن وإسلام آباد، وحاولت السفارات الأمريكيـــة إقناع عدد من رؤساء تحرير الصحف في جنوب شرق آســـيا والشرق الأوسط بنقل رسائل أرادت أمريكا عبرهـــا وصـــف نفسها بمؤيدة التسامح بين الأديان والحرص علـــى المـــسلمين الأمريكيين .

بل وقامت وزارة الخارجية الأمريكية بتعيين شارلوت بيرز، مسئولة عن الدبلوماسية العامة، بهدف الدعايـــة لأمريكـــا في الشرق الأوسط، وطلبت شارلوت شراء ساعات بث إعلامـــي في التليفزيونات العربية لتوصيل الرؤيـــة الأمريكيـــة للعـــرب وتحسين صورة الولايات المتحدة لديهم .

ولم تكن هذه هي البدايات، ففي تقرير كتب عام ١٩٥٢ ، ثبت أن أمريكا قامت بدعم مباشر لمجلات في العراق وإيـــران زرعت فيها قصصًا معادية للاتحاد السوفيتي، ورسمت الـــسفارة الأمريكية في العراق خنـــزيرًا أحمر يحمل مطرقة وشاكوشًـــا، وبعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران قامت الولايات المتحـــدة بدعم النظام العراقي، واعتبرت أمريكا أن صدام سيكون ســـدًّا منيعًا ضد التهديد الشيعي الإيراني .

وقتها حالت الإدارة الأمريكية تحرير قانون لفرض عقوبات على العراق باستخدام أسلحة إبادة ضد سكان حلبجة، وأخفت الولايات المتحدة عن الإعلام الرسمي الأمريكي إبادة سكان حلبجة حتى وقت التحضير للحرب على العراق، بل وعام ١٩٨٩ منح جورج بوش الأب مساعدة للعراق قدرها مليار دولار، ورغم فشل بيرز في العمل الإعلاني والعلاقات العامة ورحيلها فإن أمريكا لم تصدق خسرانها لمعركتها في العالم الإسلامي، ورفض الشارع العربي لها والذي تأكد أنها دائمًا تعين الجلاد على الضحية، ورغم الـ ٢٠٠ مليون دولار التي أنفقتها أمريكا — حسب التايمز الأمريكية — ضد صدام حسين فإنه بعد إعدامه أدان العالم العربي أمريكا بشكل لم يتوقعه بوش ولا إدارته، بل إن شركة العلاقات العامة التي يرأسها مجموعة ريندون والمتخصصة في دعم العمليات العسكرية الأمريكية في الأرجنتين وكولومبيا وهاييتي وبنما وزيمبابوي وكوسوفو عملت في العراق، وكان ريندون يتلقى مائة ألف دولار يوميًا نيابة عن العائلة الكويتية الحاكمة، وهو الذي جعل الكويتيين يرفعون الأعلام الأمريكية — كما ذكرت في البداية — والتي زودهم بها وحملتها القوات الأمريكية أثناء دخولها الكويت، بل وأنفقت الـ "سي آي إيه" ٢٣ مليون دولار على إنتاج أشرطة فيديو وكتب تسخر من صدام

حسين، وبرنامجين إذاعيين يقدمان رسائل ساخرة من الكويتين تسخر من النظام العراقي، بل وأسست شركة ريندون المؤتمر الوطني العراقي عام ١٩٩٢، وهي أول محاولة لضم صفوف المعارضة العراقية، وكلفت هذه العملية ريندون ١٢ مليون دولار، واختار أحمد الجلبي صديقه رئيسًا للمؤتمر، وبدأ كذلك أعضاء مشروع القرن الأمريكي الجديدة بالحملات الداعية للحرب على العراق، عبر مراكز بحث مثل المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية، ومعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، ومعهد هوفر ومعهد هدسون، ومن ضمن الكتّاب الذين حشدوا الرأي العام للحرب على العراق، ماكس بوت، محرر في صحيفة " وول ستريت جورنال "، وأرنودري بورشغريف، محرر في صحيفة " واشنطن تايمز "، والكسندر هيج، وزير الخارجية الأسبق، وتشارلي كروثامار، كاتب أعمدة في " واشنطن بوست " و " ويكلي ستاندرد" ، و " جوديث ميللر "، مراسلة في صحيفة " نيويورك تايمز "، وريتشارد بيرل، وأضيفت للعديد منهم ألقاب مثل باحث كبير وباحث دائم، وذلك لإضفاء أهمية على ما يقولون، واستضافتهم في برامج تليفزيونية محجوزة بالساعة، يركزون فيها فقط على ضرورة غزو العراق .

ولعل ما كتبه المؤلفان الأمريكيان تحت عنـــوان " شـــعرًا للذاكرة " يلخص الأمر وهو " الضحايا يحتفظ بها الجناة، وهذا ما يفسر لماذا يستمر القـــادة الأمريكيـــون في تـــبني نفـــس الإستراتيجيات الدعائية التي اعتادوها من الخمسينيات، بدلاً من تغيير الطريقة التي تتعامل بها مع شعوب الشرق الأوسط، فهـــم يطمحون إلى تغيير صورهم عبر حملات تسويق يتم طبخها في هوليوود أو على شارع ماديسون" .

هذا ما حاولت أن أفهمه لصديقي الدبلوماسي العتيد، لكنه قال ضاحكًا : في كل مرة نجلس فيها معًا أشـــرب ويـــسكي وتشرب بيبسي كولا، والذي يسكر في النهاية هو أنت وليس أنا .

# تواضع الوضيع

مندهش أنا واعذروني فقد رأيت أناسًا " منفوخين في السترة والبنطلون " ولم يقدموا للحياة شيئًا يستحق، طواويس تمشي على الأرض، بينما رجل في قامة الدكتور جلال أمين، الذي حرصت على إقامة صالون ثقافي على شرفه، وجدته آية في التواضع والبساطة، يستمع إلى الرأي الآخر منصتًا على شفتيه ابتسامة، حتى وإن كان هذا الرأي يدينه شخصيًا .

سأله الروائي المبدع سعيد نوح : لقد رأيت أن بهاء طاهر هو الوحيد الذي تقرأ له، وتجاهلت مثلاً خيري شلبي وسعد مكاوي وتجربته الفريدة .. استمع جلال أمين في صمت حتى انتهى سعيد نوح من كلامه ثم علق قائلاً : - وتخيل لو أن مكان جلال أمين واحد من إياهم — الحقيقة أنا لم أقرأ سعد مكاوي، وعمومًا أنا لست ناقدًا أدبيًا، لكني متذوق أدب تستهويني الأعمال التي أجدها قريبة إلى قلبي .

لم يدع جلال أمين أنه قرأ كل ما خطته يد البشرية من ابداع، ولم يفت مثل آخرين على كتب لم يقرأها، بل قال " كنت في إحدى اللجان لاختيار رواية في مسابقة مهمة، واخترت كاتبًا جديدًا لكني وجدت الزملاء معي يقررون

اختيار رواية كاتب مشهور، قلت لهم لكني قرأت ١٥٠ صفحة من روايته و لم أستطع أن أكملها حتى النهاية، قالوا لي إنه الأشهر والأجود .

تم الاختيار هنا لأجل الاسم، وجلال أمين يعدد لك عشرات الأسماء التي يدوِّي اسمها في الآذان مثل الطبل لكن لا أثر لها يذكر، ولا عمل منها يوازي قيمة قصة قصيرة من قصص بهاء طاهر .

التواضع من شيمة العلماء، لم يكن يصدق الملوك أن هذا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب البشر إلى رب العالمين وأقربهم من تواضعه وبساطة ملبسه وحياته، واتّبعه مصعب بن عمير متخليًا عن كل أناقته وشياكته وعطوره المعتقة، لاشيء يريده سوى الإسلام ، ذلك لأن هؤلاء الناس كانوا يحملون قيمة حقيقية غير مزيفة، ودعوة صادقة، لذا جاء التواضع مرتبطًا بالعلماء، فكلما زاد العلم والثقافة كلما زاد الإنسان تواضعًا وبساطة.

بساطة جلال أمين في ملبسه وعبوره الشارع حتى يصل إلى محطة مترو جمال عبد الناصر ذاهبًا من خلالها إلى بيته في المعادي، وهذا ليس من قلة المال، فالرجل يعمل رئيسًا لقسم الاقتصاد في الجامعة الأمريكية، لكنه يريد أن يتأمل .. أن

يكتشف .. أن يكتب جزءًا جديدًا من كتابه " مـــاذا حـــدث للمصريين " ربما .

علاء الديب أيضًا على شاكلة جلال أمين، التواضع الجـــم، الحنو، الوقوف بجوار الأجيال الجديدة .

رجاء النقاش كذلك، يبهرك وهو يتحسس الخطى إليـــك ويبحث عن طريقة لمساعدتك بأي شكل، يقف ضـــد كـــل المحاولات التي تحاول أن تئد موهبتك، نجيب محفوظ، وكأنه لا يدري من هو، يقف على الباب ليستقبلك .

في المرة الأولى التي التقيته فيها وكنت طالبًا في الجامعة وقف يستقبلني بنفسه، وفي المرة الثانية بعد الجامعة استند على زوجته ليفتح لي الباب بنفسه، في المرة الثالثة كان دائم الإلحاح عليّ أن آكل الشيكولاته وأشرب عصير المانجو، وفي الحوار الـــساخن معه كان يضع وجهه في الأرض إذا عبرت أسئلتي كلمة مجاملة له .

أعتقد أن تولستوي وبرنارد شو وشكـــسبير وهـــيرودوت ولورانس ويوسا وبيرندلو وبيرل باك وهمنجواي وكامو ونيرودا وكافكا وسيلا وباموق والليندي أكثر تواضعًا من الذين جاءوا في بالك الآن وأنت تردد : هل يتعظ الجالسون على الكراسي، أوحسب وصف الشاعر الشاب محمد البديوي " الجالسون على الفواصل " ويكفون عن وضاعتهم، ويكتفـــون بـــشيء مـــن التواضع .

# الدين .. عندما يأتي المساء

في قريتنا يوجد إمام مسجد من الذين تهفو القلوب إلى الاستماع إليهم، إضافة إلى ذلك فهو مدرس لغة عربية يمتلك ثقافة حقيقية ورؤية موسوعية ونحوية وبلاغية نادرة، كثيرًا ما تمنيت أن أسجل خطبة الجمعة لأكرر الاستماع إليها بلهجته الصعيدية المتميزة التي ما أجملها حين تختلط بالفصحى .

أقول، كان الأستاذ محمد أبو سريع – وما زال – على رؤيته الواضحة وعلى مخارجه السليمة للألفاظ، هذا الرجل علمني وأدبني وعرفني ما هي الثقافة وما هو الالتزام، لم يكن صاحب لحية ولا ساعيًا لمظاهر الدنيا الخادعة وقد تذكرت هذا الرجل لما ألمحه في الشارع المصري الآن من قبل العديد من الناس إلى التدين الشكلي دون الحفاظ على الأسس والقيم الحقيقية للدين " الدين المعاملة "، فالمجتمع الآن يغرق في فوضوية عبثية تشبه فوضوية، سيد القمني حين يحاول الافتراء على الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، بل الافتراء على الله .

ليس الهدف من مقالي هذا التقليل من قيمة اللحية أو قيمة الحجاب، إن الإحساس الروحاني الذي يسببه كلاهما يصيبني

بالسمو، لكن هناك إحساسًا بالقرف من المظاهر الخادعة الكاذبة التي تتدارى خلف المظاهر الدينية، وعلى الرغم من كثرتها فإن الدين الإسلامي يزيد رقيًا وسموًا مع الأيام، فالهدف الحقيقي هنا فضح هؤلاء المدعين وعدم التستر عليهم، لقد قلتها لرجل على ناصية شارعنا لديه شركة للأداوت الكهربائية يصلي الفروض وتعلو جبينه زبيبة صلاة ويطلق لحيته، كلما مرت امرأة ألقاها بفاحش القول وإن لم يعاكسها فإنه يملي عينيه من جسدها من أسفل إلى أعلى، لكنه ظل كما هو، لكن الصدمة الكبرى بالنسبة لي حين وجدت نساء العمارة التي أسكنها يشتكين من عدم خروجهن إلى البلكونات لنشر غسيلهن، والسبب شاب يقف عاريًا كما ولدته أمه في شرفة إحدى العمارات المواجهة لعمارتنا .. ويشير براية بيضاء إلى هؤلاء النساء .

أي والله، أخذتني الحمية وجار لنا وذهبنا إلى هذا الشاب وأنا تام الاعتقاد بأنه مصاب بمرض نفسي، وحين نادى عليه جارنا نظر الشاب من الشرفة إلينا وهو عارٍ، وهنا تأكد صدق القول، طلبنا منه النزول، ولما جاء ووجدته عاقلًا فرّجت عليه الشارع بالكامل وفعلت فيه الأفاعيل، وإذا بجارٍ لنا نعرف عنه تدينه والتزامه يخبرنا بأن هذا الشاب يصلي الفرضَ بفرض معهم في المسجد، وهنا ثارت ثورتي وزادت الأفاعيل أكثر وأكثر،

فإما أن هذا الشاب لديه اضطراب نفسي، وإما أنه فاهم الدين خطأ، وطبيعي أنه رجل جبان فإضافة إلى أنه لم يدافع عن نفسه ولو بكلمة واحدة، بل واستمع إلى هذه الإهانـــات كلـــها — وهي إهانات من التي يحبها قلبك — و لم ينطق ببنت شفة، وإذا نطق فإن صوته يخرج بالكاد من بين شفتيه، ومن خلال ذلـــك عرفت أنه إذا شاهد امرأة في الشارع يخاف أن يعاكـــسها أو حتى ينظر إليها جبنًا، لكنه في شرفته يقف في ملكه .

ما هي وظيفة هذا الشاب الذي يقف عاريًا في عز النهار في شرفة منـــزله ؟

أمين شرطة .

أيضًا ذهبت وصديق لي للغذاء في مطعم في وسط القاهرة، صاحب المطعم لا يترك فرضًا، جلبابه الأبيض ولحيته الـــسوداء المشذّبة تخبرك أنه عائد لتوّه من الحرم المكـــي، أراه دائمًـــا في مسجد الجمعية الشرعية، هذا الرجل يحاسبك على الفرخة مع الأرز والخضار في مطعمه " الشعبي " بـــ ٨٤جنيهًا، ولما سألته عن السر في ذلك وأنها تباع جاهزة بـــ ٢٧جنيهًا، أجابني بأن الأمر يعود إلى الميزان لأن الفرخة بريشها تختلف بعد الـــريش، قلت له : فعلاً إنه الميزان، لكنه ميزان الآخرة ولـــيس ميـــزان الدنيا.

ثم لماذا لا يسن قانون أو يهتم خطباء المساجد بتوعية تلـــك النوعية من الفتيات المحجبات اللواتي يرتدين سراويل تكـــشف

أكثر مما تخــفي، أو قطع ملابس تكشف جسدهن بالكامــل، ماذا يعني أن ترى محجبات بلوزاتهن مفتوحة تظهر أكثــر ممــا تخــفي، ماذا يعني أن نرى محجبات مثيرات في ملابسهن أكثر من غير المحجبات ؟!

أقولها لك وأمري إلى اللــه : إنني أحترم غــير المحجبــات بملابسهن المحترمة، وأحتقر هؤلاء المحجبات المثيرات .

ثم لماذا لا يسن قانون يمنع دخول المتــاجرات بالنقــاب إلى فنادق الخمس نجوم وإلى الشقق المفروشة ؟ باللــــه علــيكم كيف تدخل فتاة منتقبة إلى كافيه ومطعم يقدم خمورًا ثم تجلس في الكافيه وترفع النقاب وتدخن الشيشة، ألــيس هــذا كلــه استهانة بالدين وسعيًا إلى المظهر أكثر منه إلى الجوهر ؟

على الرغم من أن الحجاب التزام فإنه يتحول لدى الــبعض – ومعه النقاب – إلى سلطة تستطيع المرأة من خلالها فعل مــا تريد، بل في أوقات كثيرة تستخدمه للإيقاع بـــ " العريس "، فالرجل المصري " البصباص " لا يريد الزواج من امرأة تمــشي بشعرها في الشارع، يريدها محجبة أو ترتدي إسدالاً لأنها بذلك تحافظ له على بيته وأولاده، فيا أيها الرجل " البصباص " وسواه اظفر بذات الدين الحقيقي ولا تخدعك المظاهر . الــتي يفــتح اللــه عليها ويكرمها بالالتزام والتدين واضــحة كوضــوح

الشمس، أما الأخريات فلا علاقة لهن بالشمس لأنهن يظهرن حين يحل المساء .

أما هؤلاء المدعون فأقول لهم إن الدين ليس سيارة نركبها أو فستانًا شيكًا نتزين به لنخدع الآخرين عما نحمله داخلنا، الدين إحساس ينبع من القلب ثم يطغى على الشكل الخارجي فاتقوا الله .

# الإنســـان

تستطيع الآن أن تلقي بآلاف الأوراق المسودة بحبرها جانبًا، وأن تشاهد قناة الجزيرة فتجد الأخبار العادية، وتسأل عن قادة حماس فتجاب بأنهم عادوا إلى خنادقهم في " مشروع دمر " في دمشق، وعن عباس بأنه كل يوم على مأدبة حـــاكم عـــربي، وتسأل عن الذين ذهبوا إلى القمم، والذين عادوا منها فتعرف أنهم عادوا كما ذهبوا، وتسأل عن إسرائيل فتجيئك الإجابـــة مسبقًا بأنها ما زالت تتربع بطغيانهـــا وجبروتهـــا وترســـانتها المسلحة، وزادت عن ذي قبل، لكن أرجوك لا تـــسأل عـــن الثكالى وعن المهدورة دماؤهم، وعن الذين يلتحفون العـــراء، وعن الذين ماتوا و لم يتعرف إليهم ذويهم، وعن الذين ذهبـــوا يبحثون عن وطنٍ آخر فتلقفتهم القنابل والصواريخ .

لا حاجة للرجل العربي أن يسأل عن هؤلاء الذين حرمـــوا من الحياة، ولا عن الذين ماتوا ضحايا لا لشيء ســـوى أنهـــم اختاروا فلسطين لهم وطنًا .

لن تكون هذه هي الحرب الأخيرة التي يخسر فيها الإنـــسان آدميته، ويعود دون أطراف، يعيش حياته مشوهًا، مكتوبًا عليه

أن يدفع ثمن تراجع النخوة العربية، وهروب الرجال في عصر لم يعد بحاجة إلى الرجال.

ستحفظ مئات الأبيات من القصائد في كتبها على رف ما في مكتبة ما، وستدوس الذاكرة العربية على ما حدث ويجلس القادة الفلسطينيون مع إسرائيل على مائدة المفاوضات مرة واثنتين وعشر، ولسوف يعيد الرئيس الأسد مفاوضاته، ولسوف يخرج حسن نصر الله بخطاباته اللغوية المبهرة التي يقشعر لها البدن، ولسوف نلقي إسرائيل في البحر.

بالتأكيد لن نلقي بها في البحر الأحمر أو الأبيض أو حتى البحر الميت، ولكننا سوف ننتظر مئات السنين حتى يخترع العرب بحرًا خاصًا لإلقاء إسرائيل فيه، ووقتها نسميه بحر الإلقاء، وهو بحر لا علاقة له ببحور أبي خليل الفراهيدي، ولكنه يأتي بعد نهاية القصيدة التي تلقي في قاعة أو أمسية ما.. إنه إلقاء وحيد يتميز به العرب، وهو إلقاء الشعر.

أما إلقاء الأموال فها هي تلقى على غزة من كل حدب وصوب لإعمارها، ترى هل يعيد هذا الإعمار ذلك الإنسان الضحية الذي راح تحت أنقاضها ؟

بالتأكيد هذه الأموال شيء محمود وطيب تعلن عن تعاطف حقيقي مع أهالي غزة، لكني هنا أحاول أن أجد إجابة لنفسي

عما حدث لهذه المدينة الصامدة، وأحاول أن ألوم.. هل ألـــوم حماس أم فتح أم العرب أم إسرائيل أم الذين لا يعنيهم شيء في العالم سوى ذلك الكرسي الذي سيحملونه يوم القيامة كشاهد على ما اقترفوه في حق الفلسطينيين .

لا أعرف من ألوم، فهل تعرف من نلوم ؟

**٢٠٠٩/٩/٢١**

# مانجلكوش في حاجة وحشة

دعوت أبي ليأتي إليّ مسافة ٧٠٠ كيلو متر من صعيد مصر ليشيل معي فرحي، فشال ضحايا قطار قليوب علـــى يديـــه، والنعمة الشريفة هذا ما حدث، جاء الرجل البـــسيط فرحًـــا مبتهجًا ليحتفل بزفاف ابنه البكري، وثاني يوم الفرح صعد ابنه إلى الطائرة لشهر عسله، وكان أبي في قليوب، حيث إن السيد حمايّ العزيز لم يجد مكانًا على الأرض ليسكن فيها إلا بجـــوار محطة سكة حديد قليوب، وحين حدث ما حـــدث ووقعـــت الواقعة التي لم ير أبي لوقعتها كاذبة هرول يحمل الضحايا بـــين يديه، ويبحث بين الجثث عمن فيه النفس، قاد جبهة الإنقاذ مع أقاربي الصعايدة رجالاً ونساءً الذين جاءوا ليفرحوا فغُم عليهم، وراحوا يساندون الأهالي ويلعنون هذا النظام الذي لا يهتم بمثل هؤلاء الفقراء، خاصة أن الرئيس جمال القادم لمبـــارك كلمـــا تحدث إلى الناس تطلع إلى فوق، وكأنه يخشى أن تعملها عليـــه عصفورة تسكن سقف القاعة التي يخطب منها، مـــع أن أمـــي دائمة التأكيد عليّ أن من تعمل عليه التقيلة أية عصفورة أو طير يطير في السماء سوف يُكسى بحلة جديدة، وقد يكرم اللـــــه ابن رئيسنا بحلة أمريكية جديدة فقد عملتها عصفورة ذات يوم على الرئيس السادات فأصبح لديه عشرات الحلل الأمريكيـــة،

حتى انتقل ذات يوم على منصة طارت منها العصافير خوفًا من مدافع وقذائف خالد الإسلامبولي .

لكن جمال مبارك ينظر إلى أعلى .. إلى كرسي السلطان ليتربع عليه، و"طز" في هذا الشعب الجالس تحت الكرسي، والذي لا علاقة بينه وبين الكرسي، فهو لن يحكم إلا من خلال أحمد عز، الذي سوف يأتي يوم ويأخذ جمال معه إلى أسفل سافلين، فالمصريون الذين يموتون في القطارات المحترقة وفي العبارات الغارقة سيأتي يوم وتخرج عفاريتهم لتحبط آمال أحمد عز التي يطمح إليها، لكني أخشى أن يأتي هذا بعد مشوار طويل، فالشعب خانع .. خائف، بحاجة إلى إنقاذ روحي، بحاجة إلى أن يتعاطى حبوب الشجاعة، لكن هذه الحبوب منع استيرادها منذ " أرض النفاق "، فالاستيراد أصبح حكرًا على المواد المسرطنة التي ما زال يوسف والي رغم جلوسه في بيته عدة سنوات يصر على أنها غير ذلك، وأنه لم يقدم للبلد سوى كل خير .

يارب خيره ومبارك وعز يرد إليهم ذات يوم، واللي عند الله ليس ببعيد .

# مشايخ " النكتة "

زمان كان الاستماع إلى درس ديني يعني الخشوع والخضوع والترقب والاستفادة القصوى من تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، زمان كانت الوظيفة الواحدة تكفي، واستقرار رب الأسرة في بيته يبدأ من بعد الثانية ظهرا، الآن اللف والدوران على لقمة العيش ومتابعة الأحداث وحل المشاكل اليومية قبل أن تتحول إلى مشاكل مزمنة صار هو سيد الموقف، فتبدلت لغة الخطاب الديني بالتبعية وصار للنكت والقفشات واللهجة العامية عامود يلتف حوله بعض مشايخنا الجدد .

" أمريكا طلعت القمر وإحنا قمرنا لسه على الباب، ياما القمر على الباب نّور قناديله، ياما القمر عطشان، ياخويا قمر إيه ده اللي عايز يشرب من قلتهم .

ويضحك الجالسون في وحول " مسجد عين الحياة " في شارع مصر والسودان بحدائق القبة، يضحكون فيستكمل الشيخ عبد الحميد كشك – رحمه الله – درسه ويقول : هنا مدرسة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، مع الدرس الكذا من السيرة النبوية العطرة، يجلس فلان ويأتيه فلان فيقول كذا،

و يأخذ الألباب بمشاهد تصويرية تشعرك وكأنـــك هنـــاك في القرن الهجري الأول.

وبرغم أننا ضحكنا كثيرا معه فإننا استفدنا أكثر من علمـــه وطرق معالجته لمشاكل الواقع، فلم ننس أحاديثه على شـــرائط الكاسيت عن "مذبحة كربلاء"، وقصص الأنبياء والسيرة النبوية وسير الخلفاء، وكم كانت قدرته فائقة على توصيل المعلومة في سهولة ويسر وقليل من السخرية . إلا أن المجموعة التي ظهرت كمشايخ جدد يقلدون الـــشيخ كـــشك دون أن يـــصلوا إلى مستواه العلمي، جعلتنا نتساءل عن سر التمسك بهذه النكـــت والقفشات التي تملأ دروسهم . هل هو الافتقـــار إلى تفاصـــيل العلوم الشرعية، أم أنه فقه الواقع الذي يتحدثون عنـــه أم هـــو الخطاب اليومي المناسب لإيقاع حياة مرتبكة وكل شيء يمضي فيها بسرعة لا يمكن التحكم فيها .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد " الأستاذ " مسعد أنور يبدأ أحدث ألبوماته بمجموعة من الأمثال يقول إنها تخالف العقيـــدة ولا ترضي ربنا مثل :

" ما ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه أو فلان تور اللـــــه في برسيمه، وكأن هناك ثيرانا للـــه وثيرانا للناس".

أو واحد يقول لك – والكلام للأستاذ مسعد أنور – اللـــه أكبر .. امسك الخشب .. طب لو مافيش خشب امـــسك في خناقه !

وواحد يقول لك " راجل لما رجع من الحج، الناس وعيالـــه بيسألوه يا عم الحاج عملت إيه هناك، فقال : ده الحج متعـــب بشكل، دول كفرونا يا أخي .

أو يقول لك " الواد ده لعيب كورة، رقص اثنين وثلاثة، ده ابن حرام ".

ويمضي الأستاذ مسعد أنور محللا مبينا كراهة أو حرمة هذه الأمثال والمواقف " اللي يتجوز اتنين يا قادر يا فاجر، البت دي صاروخ .. يا دين النبي " .

أو واحد يقول : اسمح لي يا أستاذ فلان .. ويلتفت لزوجته يقول له : اسمحي لي بالرقصة دي، عادي أرقص مع مراتي، أنا راجل لارج .. أرقص ويعلق الأستاذ مـــسعد : أنـــت مـــش لارج.. أنت إكس إكس لارج ".

" اللي يعوزه البيت يحرم على الجامع، ويا مـــربي في غـــير ولدك يا باني في غير مِلكك، مع أن الرسول يقـــول : " أنـــا وكافل اليتيم كهاتين في الجنـــة، وأشـــار بإصـــبعيه الـــسبابة والوسطى".

ومثل يقول لك : ابكي الزمان اللي عمل الأصيل شمعدان واللي يرشك بالمية رشه بالدم .. ليه هو أنت شغال في بنك الدم .

وقالوا فلان بينادي .. أحلق له، " لغة جديدة "!

طب فلان نّفض له، ويعمل على ودنه كده، تقول له : ليه.. يقول لك : أصله واد بيئة والقرآن يقول : ( مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) – سورة ق – آية ١٨ .

أما ما ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه، فقد كان تعليقه عليه أنه لا يوافق الشرع ويهدم فريضة من فرائض الإسلام ويدعو إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال : أصلح بين الناس ثوابك أفضل من المتصدق والصائم، أو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم على ما هو أفضل من درجة الصيام والصدقة، قالوا : بلى يارسول الله، قال : إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة، لا أقول حالقة الشعر إنما حالقة الدين ".

ويعلق الأستاذ مسعد : الجماعة المذيعون أول الواحد ما يخطب يقول سيداتي سادتي .. هنا خطأ في التخاطب الذي يجب ألا يكون بالتسييد، فليس كل الناس يقال لهم سيد،

فالرسول صلى اللـــه عليه وسلم، قال : لا تقولـــوا للمنـــافق سيدا".

أيضا يناقش مسعد أنور لفظا اعتاد الناس عليه وهو " سايق عليك النبي أو سوقت عليك النبي، أو علشان خاطر ربنا، وربنا عزيز، ثم إن هذا استخفاف بمقام النبوة ".

وللأستاذ مسعد أنور مجموعة كبيرة من الـــشرائط مثـــل : "مهلا أيها الملتزمون"، و"نافذة على دار النعـــيم"، و"الإمـــام البخاري وحق الجار"، و"الصراط والحجاب عادة أم عبادة" .

الأستاذ وجدي غنيم أيضا له مجموعة من الإصدارات، وفي أحد أشرطته يبدأ حديثه بالتهريج قائلا : هو الحقيقة الـــدرس أصلا لأخوات وأول مرة أدرس لأخوات وألاقي قدامي إخـــوة وأنا ح أدرس للأخوات، مش عارف أنا أكلمكـــم في صـــيغة الأخوات ولاّ تزعلوا، فلو قعدت قلت لكم : اتزينوا للـــزوج، وكل واحدة لازم تشوف بيتها، ح تقولوا هو بـــيكلم مـــين، فعلشان يبقى الكلام واضح من الأول الكلام للأخوات مـــش ليكوا، بس إحنا هانخبّط فيكوا شوية من باب " إيـــاكِ أعـــني واسمعي يا جارة "، وعايزين تقعدوا اقعدوا إنتوا حرين ".

وتحدث في المساواة بين الرجل والمرأة، وهو الموضوع الذي تحدث فيه كل المشايخ والدعاة تقريبا، وقال : اللـــي قاعـــدين

يقولون مساواة، إزاي تساوي الراجل بالمرأة، إذا كانوا هم نساء يقولوا لك مساواة يعني إيه، يعني ماتغضش بصرك، اختلي بها، اقعد معاها، دي زي أختك، وليس الخاسر هنا الرجل، لأنه طول عمره رجل، هي خسرانة عفتها وأنوثتها وحياءها، يوم ما تتحشر مع الرجال وتبقى عادي زي الرجل .

طب ينفع يا رسول الله إني أقول على واحدة زي أختي يقول لك : أنت هجاص وكداب وبتستهبل .

هي أختك ؟ أمال إزاي زي أختك ؟ ينفع آجي على فلوسك وأقول لك زي فلوسي، وآخد بقى براحتي، إيه الهبالة دي .

وفيه واحد يقول لك : أنا ممكن أشوف واحدة ولا أتأثر، عادي قول له وأنا ما لي وما لك . أنا باتكلم على الرجالة، اللي ربنا ذكرهم، من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .

سألت الدكتور عبد الصبور شاهين من الفريق المعارض لأسلوب مشايخنا الجدد، لدرجة أنه قال : هذا لا يصح وهو نوع من العبث وإخلال بوظيفة الخطبة وعدم تقدير لها، ويجب أن يكون هناك قانون أو لجنة من الأزهر لفحص مثل هذه الأشرطة .

سألت الشيخ يوسف البدري فيقول : هــؤلاء لا يقلــدون الشيخ كشك ولا علاقة لهم بمدرسته، فقد كان الــشيخ عبــد الحميد كشك فارس المنبر، ومنذ رحل فلم يعوضنا اللــه عنــه أحدا يدانيه، لكن الشيخ كشك ترك لنا مكتبة مــن خطــب عظيمة ودروس واسعة تلقفها هؤلاء، تطفلوا على مائدته، ولم يأخذوا منه إلا أسلوب الإلقاء، وهؤلاء الدعاة الجــدد علــى الساحة قاموا بالتحدث في موضوعات يمكنها أن تجذب أسماع طوائف من الناس مختلفة عن طريق الترهيب الشديد أو الترغيب الكبير أو الفكاهة المسلية، لكنهم استطاعوا بالعامية القحــة أن يفهموا من يستمعون إليهم أن ما هم فيه من تخلف سببه البعد عن الآخرة والإقبال على الدنيا، وظلوا يضربون على هذا الوتر بأسلوهم .

ويرى الشيخ عبد اللطيف منصور أن هؤلاء الدعاة الجــدد يستخدمون مهاراقم وحسهم الساحرين في جذب قطاع معين من الناس، إما لأهم لا يجدون الوقت للاطلاع والبحث، وإمــا بسطاء ثقافتهم محدودة وإما مهمومون بشواغل الحياة الــدنيا، وهذه القفشات ستجعلهم يتسمون ويقبلون على أوامر اللــه من بوابة جديدة ويبتعدون عن نواهيه من بوابة أخرى، لــذلك فلهم الفضل وحسن الجزاء إن شاء اللــه .

ولكني - والحديث ما زال له - أعيب عليهم المبالغة في استعمال العامية والابتعاد عن الفصحى لغة القرآن الكريم، ويمكن كما تفضلتم أن ينتهجوا نهج الشيخ كشك - رحمه الله - وبقليل من العامية تصلح الخطبة .

**٢٠٠٥/١/١٥**

# واحدة إسكندراني لـ " أبو ميزو "

واحد أنا من مؤيدي الرئيس الفلسطيني محمود عباس ودلعه " أبو ميزو "، الرجل لم يبع القضية مثل الآخرين وحافظ على دم الفلسطينيين، فلم يراق، تقرير جولد ستون هذا كلام فارغ، فأبو ميزو هو أبو العريف وصاحب البصيرة النافذة .

لقد استطاع أبو ميزو أن يثبت للعالم كله أن الفلسطينيين ما هم إلا مجموعة من الخونة والكذابين الذين لا هم لهم سوى جمع فلوس القضية والهروب بها إلى أقرب فندق خمس نجوم .

أبو ميزو لم ينافق الإسرائيليين والأمريكان طوال حياته فقد ظل صنوًا لهم وحائط سد لكل أفعالهم الدنيئة، إنني أكاد أقول إن أبا ميزو يبصق كل صباح في وجه الإسرائيليين والسياسة الأمريكية العمياء، بل أكاد أقول إنه يصحو من نومه كل صباح موليًا دبره تجاه إسرائيل معطيًا لها التحية التمام .

لا علاقة لمحمود عباس بالأمر، فحين قرر مجلس حقوق الإنسان التصويت على قرار يدين تقاعس إسرائيل عن التعاون مع لجنة التحقيق، ويحيل التقرير إلى مجلس الأمن تقدم المندوب الفلسطيني في جنيف بطلب إرجاء التصويت حسب رغبته الخاصة، إذ هيئ له في المنام أن أبا ميزو جاءه ومعه ميزو طالبًا

منه ألا يوقع إخوتنا الإسرائيليين في مأزق مثل هذا، فهم طيبون يحبون الناس ولا يسعون في الأرض فسادًا، ومن منا يعلم أكثر من أبي ميزو .

بالتأكيد ريتشارد جولدستون، القاضي الجنوبي إفريقي رئيس تقرير لجنة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة يضرب يدًا بيد ويتساءل : هل محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية أم رئيس إسرائيل ؟

مؤكدًا قول المتنبي :

**كلما أنبت الزمان قناة ركّب المرء في القناة سنانا**

كدت أقول له وأقول عن أبي ميزو حتى كدت أبكي، ولكن دموعنا جفت بسبب البكاء على القضية لذا دعني يا أبا ميزو أهديك حركة إسكندراني – أنت تعرفها – تقديرًا مني لدورك العظيم في نصرة القضية .

**٢٠٠٩/١٠/١٤**

# أرجوك لا تصادر أحلام الشعب

كان مصطفى كامل ومحمد فريد يكرهان سعد زغلول، وقد عبر محمد فريد بصراحة في مذكراته عن هذا الأمر، لكنهما لم يتوانيا لحظة واحدة في مساعدة سعد زغلول أو تقديمه لخدمة الوطن .

كان مصطفى كامل ومحمد فريد يريان مصر فوق الجميع، تسمو وتفضل أمام كل الخيارات فهل يتعظ أولئك الحمقى بتاريخ الوطنيين المصريين ويدركون أن مصر أكبر من كرسي أو موقع يتبوؤونه على حساب الشعب المصري ؟

حين سافر مصطفى كامل إلى إنجلترا ليعرض قضية بلاده استهجن من الإنجليز تعاملهم مع الأتراك فيما يخص استقلال مصر، فكان رد الإنجليز بعدم وجود من هو أهل للحكم في مصر، وعلى الرغم من الخلاف العميق بين الزعيمين — ( مصطفى كامل وسعد زغلول ) — فإن مصطفى كامل قال لهم يوجد من هو أهل للحكم مثل محمد فريد وسعد زغلول، بل إن محمد فريد قام بترشيح سعد زغلول ليتولى رئاسة الحزب الوطني أثناء هروب فريد إلى أوروبا، وذلك لجمع الحزب وعدم تفتيته .

إن مدرسة الوطنية المصرية لا تخلو من دروس وعبر يستطيع أن يحذوها الذين لا هم لهم سوى " الشتيمة " والهجوم على القامات الكبيرة والمحترمة، ليس لسبب سوى أن هذه القامات تسعى لأخذ موقف حقيقي تجاه الوطن، ومع هذا الشعب الذي يحاول أن يفيق من ثباته ويتحرك مطالبًا بحريته .. مطالبًا ببعض من الديمقراطية، بعضهم يكره النظام ويتعاطف مع الإخوان لأجل هذا السبب، بعضهم يكره الإخوان ويتعاطف مع النظام لهذا السبب، وبعضهم " الألعن " يدور في المكان الذي تدور فيه مصلحته الشخصية ومآربه الخاصة وأغراضه الدنيئة، ليس مهمًا على الإطلاق مصلحة الشعب المصري، المهم مصلحته الشخصية .. فقط مصلحته الشخصية .

بكم تبيع هذا الوطن الذي يسكن في الأحداق وينام كل ليلة في الأهداب ؟

لماذا لا تلتفت إلى أسماء باعت كل شيء لأجل عيون الوطن فخلدها التاريخ بين عيون صفحاته، أم ترى أن الانضمام لباطن التاريخ هو انضمام لفئة الحفريات ؟

هل ترى أن عمر مكرم ومصطفى كامل وأحمد عرابي ومحمد فريد وسعد زغلول ومكرم عبيد ورفاعة الطهطاوي والعقاد وويصا واصف وسينوت حنا وعلي عبد الرازق وأحمد

بهاء الدين وإحسان عبد القدوس وخالد محمد خالد وصلاح جاهين من الحفريات .

انظر إلى موقعك منهم وماذا فعلت لأجل هذا الوطن وماذا فعلوا لتعرف أين تكون الآن، وما الذي وصلت إليه .

إنه التاريخ الذي لا يرحم، والوطن الذي لا يسامح ابنًا خرج من رحمه ثم أصبح عاقًا وكافرًا به، إنه الحلم المتبقي لهذا الشعب فلا تبعه في سوق نخاسة رخيصة، لأنه لم يتبق لهذا الشعب سوى أن يحلم، أرجوك لا تصادر أحلامه .

**٢٠١٠/١/٢٨**

# يا أبانا الثالث : اتقى اللـه

لا البابا شنودة يخاف على أمن مصر، ولا تلك الصحف التي راحت تفسر ما يجري في بر مصر على هواها تخاف على أمن مصر، فقد راح الجميع يحول الأمر إلى أزمة بين أقباط مصر ومسلميها، ورغم أن الأحداث الأخيرة لا علاقة لها بالدين، فبين قتل بغرض السرقة واستيلاء على الأراضي وخصومات ثأرية بسبب أراض زراعية جرى ما جرى، فإن البابا شنودة وأقباط المهجر وتلك الصحف لديهم رؤية أخرى، ولا أعرف كيف يغلب المانشيت الصحفي على مصلحة الوطن ؟

الأمر بحاجة إلى وقفة حقيقية، فالجميع — مسلمون ومسيحيون — يعرفون أن صورة البابا شنودة وشيخ الأزهر متجاورين ما هي إلا برواز زائف، وأن هذه الصورة الصحفية والتليفزيونية التي صنعها النظام المصري تكشف أنه لا اتفاق بين المسيحيين والمسلمين، ولو كان هناك اتفاق بين الطرفين لما احتاج الأمر لصورة تبثها وكالات الأنباء ويذكرنا بها التليفزيون المصري كل عام، وتبدأ علاقة البعض بين المسلمين والمسيحيين منذ الطفولة، فالطفل المسيحي ينشأ في نفس الحي الذي ينشأ فيه الطفل المسلم، بل وفي أغلب الأماكن يجاوره الحائط في الحائط، ولا يعرف الطفل الفرق بين الذي يذهب إلى الكنيسة والذي يذهب إلى المسجد، ولو أن الأب — المسلم

والمسيحي — لم يوجد هذا الفرق من البداية لما أحس الطفل بأنه يجب أن يكره جاره الآخر لأنه يدين بدين مختلف، وقد تعرضت بشكل شخصي لموقفين في حياتي، دلالتهما أن التربة تغرس فينا أشياء لم نولد بها و لم نعتدها، والموقفين فيهما إدانة للمسلمين والمسيحيين على السواء، بل إن أحدهما كاد يفقدني مستقبلي .

يعتقد العديد من الإخوة المسيحيين أنني مسيحي من خلال ملامحي، ويعتقد عديد من المسلمين أنني مسيحي أيضًا من ملامحي، ولعل ملامحي — ولا أعرف من الفنى وضع الملامح بين المسلم والمسيحي فكلنا بشر، حتى اليهودي لا تستطيع أن تكتشف أنه يهودي لكن ماذا تقول في الشعب المصري ؟! المهم أن الموقف الأول كاد يفقدني مستقبلي حيث كنا في رمضان نؤدي امتحانات العام الأول في الجامعة منذ عدة سنوات، وكان المراقب متزمتاً بشكل لا يتخيله أحد، وتبدو لجان الإمتحانات في صعيد مصر مثل سوق الخضار، وطلبت مني زميلة — ( محجبة ) — تجلس خلفي معرفة الإجابة عن سؤال ما، حاولت أن أركز في ورقة إجابتي وأمام إلحاحها قلت لها في الربع ساعة الأخير سوف أجيب لك عن السؤال، وهو خطأ بالطبع، وليس من المفروض أن أفعل مثلما كان يفعل أغلب زملائي في اللجنة والذين قارب بعضهم المقاعد من بعض وبدأت حالة غش جماعي، وقرر المراقب الهمام، الذي يراعي ربه وضميره أن يخرجني من الصف، وقال لي الأستاذ محمد ::

تعالى خارج اللجنة، وحاول أن يسألني عدة أسئلة ليعرف إن كنت مسلمًا أم مسيحيًا، ولما قلت له إنني صائم طلب مـــني أن أخرج لساني !

ولما كان اسمي أيضًا يوحي بأني مسيحي طلب مني بطـــاقتي الشخصية، ولسوء حظي أن البطاقة نشلت مني بمحفظتي ومـــا تحتوي عليه من نقود، وحاولت بكل الطرق إقناعه بأني مسلم، ولكن "أسمعت لو ناديت حيًا"، أصر على تحويلي إلى التحقيق، بل وأن آخذ معي ملخص المادة الذي تركته خلف باب اللجنة مع باقي زملائي، وبعد أيام وقف أمام عميد الكليـــة الـــذي وجدته أكثر تعصبًا، وكان الأمر سوف يمر على خـــير لـــولا لساني الطويل الذي راح يهاجم العميد ويتهمـــه بالتعـــصب والتحيز والتفريق بين المسلمين والمسيحيين، ولم يتحمل فطردني خارج مكتبه، وتمت محاولات عديدة لإنقاذ مـــستقبلي مـــن الضياع، ولولا أن هناك أساتذة يسمون فوق هذه المسائل لمـــا كنت هنا أكتب هذه الكلمات .

والواقعة الثانية حين تعرفت إلى مجموعـــة مـــن الـــشباب مسيحيين، اعتقدوا أنني مثلهم، رغم ارتيابهم في تكملة اسمي " الدين "، وصعقت حين قال لي أحدهم إن المـــسيحي يـــساعد المسيحي وينقذه مما يلم به، وأن المخلصين ليسوع لا يقفـــزن بجوار المسلمين، فرغم أن قرآن المسلمين يقول إن المسيح هـــو

الذي صلب أنهم يصرون على أنه لم يصلب، ولما سألته عن الآية التي تقول ذلك قال ( وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ) — سورة مريم — آية ٣٣ – فرحت أصحح له الآية وأقول له أنه قرآن المسلمين يقول " وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ أَمُوتُ " والآية لم تجيئ بالفعل الماضي، فقال لي يجب أن أقتنع بكلامك، وأن أستمع لأقوال البابا شنودة التي تنصحنا بالابتعاد عن المسلمين الذين لا يحبوننا، وراح يحكي قصصًا ما أنزل الله بها من سلطان حول أن المسلمات ... وحكايات غريبة، ولما كشفت له عن ديني امتقع وجهه وحاول الابتعاد عني، و لم أتركه إلا بعد حوار طويل يكشف أننا يجب أن نتعايش – طبعا ليس التعايش الذي يقصده البابا شنودة ومناصروه — وعشرات الحكايا، وهذا لا ينفي أن هناك مسلمين ومسيحيين يسمون عن هذه الأمور التي يذهب أبسطها إلى الجحيم، ولقد ظلت صداقتي ما يزيد على العشرة أعوام بالأديب الرائع هدرا جرجس زخاري، ومازالت حتى الآن، درسنا في الجامعة معًا وحملنا هم هذا الوطن، أكلنا وشربنا معًا وعشنا حياة رائعة، و لم نتطرق ذات يوم إلى مسألة مسيحي ومسلم ، لذا يجب على البابا شنودة أن يكف عن هذه النظرة المتطرفة والغلو في الدين، لأنه سيؤدي إلى كارثة محققة، فالعبث بأمن الوطن لن يضر أحدًا سواه، ثم إن الكاشف لتاريخ البابا شنودة يعرف أنه المسيّر لأقباط المهجر، ادعوا للرئيس مبارك، يدعون له ويحسنون استقباله، تظاهروا ضد الرئيس

مبارك، يتظاهرون رافعين لافتات اللاءات، أعيدوا تلك التي أسلمت إلى الدين غصبًا عن أمن الدولة والنظام تتم إعادتها بمساعدة أمن الدولة والنظام، مع أن لا أحد يكره أحدًا على دينه، والإسلام لن ينقص واحدًا مسلمًا تحول عنه، والمسيحية لن تمحي من على وجه الأرض لأن مسيحيًا أسلم، ثم يطلب من مسيحيي مصر تأييد نظام جوّع الناس وكدّر عليهم عيشتهم وأراهم الهم والذل والخنوع ليل نهار، وجعل بعضهم يتخلص من حياته حتى لا يموت من الجوع أو حتى لا يقف أمام ابنته غير قادر على شراء "مريلة" وكتب دراسية لها.

أعرف إن الشعب المصري – مسلميه ومسيحيه – لديه القدرة من الذكاء، ويعرف أين يكمن الخطر، لذا يجب عدم التوقف عن هذه المسائل التي تلهي عن القضايا الحقيقية، فالفتنة الطائفية لم تدمر أحدًا في النهاية من أطراف النظام، فقط ستحرق المسلمين والمسيحيين وتشغلهم لسنوات، فكفانا تعصبًا وتعالوا نتعبد في كنائسنا ومساجدنا، فالرب في النهاية هو الذي سيختار من يدخل الجنة ومن يدخل النار وهو الذي يحاسب، لذا فإن العبد مهما فعل في الدنيا فيحمل وزره، فلا تتحملوا أوزارًا لا تستطيعون حملها يوم القيامة .. مش كده ياأبونا ولا إيه .

٢٠٠٨/١١/٦

# ابنة محمد عفيفي

نعم لدى الكاتب الساخر محمد عفيفي بنت أنجبها بعد عشر سنوات من رحيله، أنا " أدعي " وزوجته اعتدال هانم — التي أخذت منه روحه الساخرة — تنفي وتقول لي :كان نفسي في بنت، وأصر على ادعائي أمام الكاتبة الكبيرة سناء البيسي، لكنها تقول لي إن محمد عفيفي الذي جاورته في حجرة واحدة في أخبار اليوم عشر سنوات كان يقول «أنا أبو الصبيان» وذلك لأن لديه ثلاثة أولاد، عادل ونبيل وعلاء وقد ضحك ابنه نبيل — مهندس معماري — وعلاء — مدير الشئون القانونية بالأخبار — على ادعائي وقالا لأمهما: "مبروك جاتلك بنت"!

والحكاية يا سادة يا كرام — أني ظللت سبعة أشهر أبحث عن رقم تليفون أولاده، والتقيت أحد مديري تحرير الأهرام وحكيت له بحثي الدائم عن محمد عفيفي هذا الساخر الذي جعلني أهيم وراءه كدرويش من مريديه، فقال لي: فلانة ابنته فقلت له مندهشًا: أعرفها منذ سنوات و لم أتوقع هذا.. وذهبت إليها فرحًا — في وجود زميل لنا — وحكيت لها قصصي مع محمد عفيفي وانبهاري به وقلت لها بالتأكيد أنت تحبين شجرة التمرحنة التي في بيتكم بالهرم والحيوانات الأليفة والفسدق،

حسبما كتب والدك، وكانت ضاحكة معجبة بأبيها.. طوال حديثي عنه وقلت لها في النهاية إنني أريد إجراء حوار معك عنه، وأصرت على الرفض دون أن تبدي سببًا فطلبت منها أرقام إخوتها لأجرى معهم الحديث، فقالت وقد طفرت الدموع من عينيها الجميلتين: أرجوك كفاية كلام في الموضوع ده.. دول بهدلونا على الميراث ، وفيه بينا قضايا ومحاكم وخلافه !

الزميلة العزيزة ليست ابنة محمد عفيفي ولا تمت له بأية صلة، وقد ضحك أولاد عفيفي كثيرًا على موضوع الميراث هذا، بل وقالت زوجته : ليست هذه أول مرة تدعي فيه ذلك فقد قال لي صحفي من مجلة نقد اسمه أحمد الشريف إنها قالت له إنها ابنة الكاتب الساخر محمد عفيفي .

وسألتني عن عمرها فقلت لها حوالي ثلاثين سنة، فقالت زوجته: زوجي قضى آخر خمس سنوات من عمره راقدًا في السرير مصابًا بالسرطان، وبعد شهرين يمضى ٢٥ عامًا على رحيله وهذا يعني أنه خلفها بعد أن مات بعشر سنوات يرحمه الله !

الغريب أن هذا الأمر تكرر معي قبل ذلك حين بحثت عن أحفاد المقرئ المعجزة محمد رفعت، حيث ادعى أحدهم أنه حفيده.. والشيخ رفعت منه براء وعذرًا لهؤلاء المدعين الذين

دخلوا علينا في موضوعنا قبل الحديث عن الساخر العظيم محمد عفيفي الذي عاش باحثًا عما يبكيه ليضحك الناس مرورًا مع أن الناس يبحثون عمن يضحكهم .

إنه الكاتب الساخر محمد عفيفي أحد أهم كتاب السخرية في الوطن العربي، وقد ولد يوم السبت ٢٨ من جمادى الآخرة عام ١٣٤٠ هجرية، الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٢٢ بقرية «الترامل» القريبة من «إنشاص» مركز بلبيس ــ محافظة الشرقية ــ لكنه انتقل مع أسرته إلى القاهرة، ليدخل مرحلة الدراسة الابتدائية، وينتهي منها عام ١٩٣٣ بالقاهرة، وحصل على الشهادة الثانوية من مدرسة «التوفيقية بشبرا بالقاهرة» عام ١٩٣٨والتحق بكلية الحقوق وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٢ ، ثم أصر على الحصول على دبلوم الصحافة سنة ١٩٤٤ ، وكان يريد أن يكون أديبًا وصحفيًا فأصدر مجلة القصة عام ١٩٤٤ والتي لم تستمر كثيرًا، لأنها لم تحقق مكسبا، وكان محمد عفيفي يحلم بالكتابة ولكن بطريقة مختلفة وجديدة، واستطاع هذا وإلى حد كبير كما أنه بدأ رحلته الصحفية مع كاتب مثله يسعى إلى التميز وجمال الأسلوب ورشاقته وقوته، وهو أستاذ الصحافة محمد التابعي وذلك بمجلة " آخر ساعة " في منتصف الأربعينيات، وذلك لأن عفيفي قرأ إعلانات مكثفة عن تجديد آخر ساعة.. وكان محمد التابعي كشاف مواهب،

وأدرك حجم موهبة محمد عفيفي فكلفه في البداية بتقديم أفكار لصور الكاريكاتير التي كان يرسمها صاروخان، ونجح عفيفي في خلق أفكار جديدة وساخرة لكنها سخرية ممتلئة حكمة لكـــي تواجه الناس أعباء وتكاليف الحياة التي يعيشونها، وتميزت آخر ساعة بباب يكتبه محمد عفيفي وهو «ابتسم مـــن فـــضلك» ويوميات لآخر ساعة، وحقق باب " ابتسم من فضلك " مجدًا وانتشارًا لا يحلمان بما أي كاتب، وكان يكتب هذا الباب على صفحة كاملة بمشاركة ريشة مصطفى حسين .. وعام ١٩٦٢ حرر باب " هذا وذاك "وهناك مرحلـــة مهمـــة لا يجـــب أن نتجاوزها لعفيفي على الرغم من أن مدتها عام واحد، حيـــث عمل في مجلة «اضحك» التي تصدر عن دار مسامرات الجيـــب عام ١٩٤٥ ، التي انطلق فيها قلمه متجاوزًا كل الحدود وكأنه فرس عربي وجد أمامه صحراء شاسعة بعد سجن طويل، وقبل ثورة يوليو بعامين تزوج في نفس يوم عيد ميلاده وأنجب ثلاثة أولاد، عادل عام ١٩٥١ ـــ ويعمل طبيبـــا ـــ ونبيـــل عـــام ١٩٥٧ ويعمل مهندسا مدنيا ـــ وعلاء عام ١٩٦٠ ـــ ويعمل مدير شئون قانونية.

محمد عفيفي دائم الإبصار والتمعن والتفكير والفلـــسفة في كتاباته ، ولا أدرى سببًا لتجاهل هذا الرجل ونـــسيانه بهـــذا الشكل . إذ كلما مرت ذكراه يحتفل الناس بأشياء كـــثيرة إلا

ذكراه وكأنه لم يكن ذات يوم أهم كتاب مؤسسة أخبار اليوم وآخر ساعة، وأستاذ الكتابة الساخرة.

الغريب أن محمد عفيفي كان يسخر من كل شـــيء حـــتى موته، لدرجة أنه كتب نعيه قبل رحيله، وأوصى بألا ينـــشر في صفحة الوفيات فكتب " عزيزي القارئ.. يؤسفني أن أخطرك بشيء قد يحزنك بعض الشيء، وذلك بأني قد توفيت وأنا طبعًا لا أكتب هذه الكلمة بعد الوفاة «دي صعبة شـــوية» وإنمـــا أكتبها قبل ذلك وأوصيت بأن تنشر بعـــد وفـــاتي، وذلـــك لاعتقادي بأن الموت شيء خاص لا يستدعي إزعاج الآخـــرين بإرسال التليغرافات والتزاحم حول مسجد عمر مكرم حيـــث تقام عادة ليالي العزاء.. وإذا أحزنتك هذه الكلمات فلا مـــانع من أن تحزن بعض الشيء ولكن أرجو ألا تحزن كثيرا ".

وعلى الرغم من أن يحيى حقي كان يعتـــبره حامـــل لـــواء الفكاهة في مصر وقد وضحه صديقه نجيـــب محفـــوظ بقولـــه «كانت السخرية محور حياته ينبض بها قلبه، ويفكر بها عقلـــه، وتتحرك فيها إرادته» فهي ليست بالثوب الذي يرتديه عنـــدما يمسك بالقلم وينـــزعه إذا خاض الحياة ـــ ولكنها جلده ولحمه ودمه وأسلوبه عند الجد والهزل.. ولدى الـــسرور والحـــزن، ونجيب محفوظ هو الذي اختار عنوان كتاب عفيفـــي الأخـــير «ترانيم في ظل تمارا» بعد رحيل عفيفـــي في١٩٨١/١٢/٦ .

وعن علاقته بمحمد التابعي قالت لي زوجة عفيفي : كان زوجي يحب محمد التابعي جدًا ويعتبره مثله الأعلى، والتابعي كان يحبه لذا رشحه لمصطفى أمين في أخبار اليوم، وكلمه وقال له: اذهب لمصطفى أمين، وجعله يعمل في أخبار اليوم، وفي الحقيقة لم أحضر أية لقاءات بينه وبين التابعي، كانوا معًا خارج البيت وكانوا جميعًا أصدقاءه لكنه كان يفضل اللقاء خارج البيت ولا يرحب بجلوس «الستات» في "قعداته".

كان من أصدقائه كامل الشناوي ورضا وصاروخان وعلي ومصطفى أمين وكانوا يعملون جلسات كاريكاتورية أسبوعية لتنشر في أخبار اليوم .

أما الصديق الأقرب له ــ تضيف السيدة اعتدال - فهو نجيب محفوظ، إذ كان يأتي ومعه باقي شلة الحرافيش الذين ظلوا ٤٥ سنة معًا وهم، نجيب محفوظ توفيق صالح أحمد مظهر ثروت أباظة صلاح جاهين أحمد بهاء الدين، بهجت عثمان، عادل كامل، صبري شبانة، إيهاب الأزهري، وكان لقاؤهم دائمًا في الفيلا عندنا كل يوم خميس، وكان نجيب يأتي في الثامنة والنصف حيث يضرب جرس الباب فيقول عفيفي: رجل الساعة وصل ويقصد التزام نجيب بمواعيده ، و لم أحضر مناقشات لهم، وكان ممنوعا دخول أي «حريم» معهم وحاولت كثيرا ورفض وحاول التليفزيون تصويرهم أكثر من مرة لكنه

كان يقول لهم : من يريد الدخول عليه أن يتــرك الكــاميرات خارج البيت .

وكانت أغلب جلساقم لا تتناول المسائل الشخصية، أغلبها مناقشات أدبية. وعن طقوسه في الكتابة تقول : كانــت لــه حجرة خاصة بناها في آخر دور في الفيلا، وكنا نطلق عليهــا الصومعة، وكان ممنوعا صعود أحد إليه إلا إذا ضرب الجــرس فنصعد لنعرف ماذا يريد ؟ وبعد أن ينهي كتاباته كان يجلــس إلينا، و لم يكتب أى شيء وسطنا .

وفي البيت كانت له لمحات ساخرة وكان صــديقا حميمــا لأولاده و لم يكن يرتدي جلابية الأب الصارم .

أما عن زيارة المثقفين والكتّاب فقالت: لم يكن أحد غريب يزوره في البيت، كانت أغلب مقابلاته في الجريدة .. ولكــن جاء له علي أمين مرات معدودة، أما صديقه على المدى الطويل فكان إيهاب الأزهري .

وعن علاقته بعلي ومصطفى أمين كانت علاقة مودة ولكن ذات مرة اختلف محمد عفيفي مع علي أمين وقرر أن يتــرك " أخبار اليوم " وبالفعل انتقل إلى «روزاليوسف»، ولا أعــرف سر اختلافهما، وجاء البيت وقال: تركت الجريدة، و لم يقــل الأسباب، وعمل ثانية في"روزاليوسف" التي كان يترأس تحريرها

أحمد بهاء الدين الذي رحب به، لكن في هذا اليوم هاتفه علـــي أمين كثيرا حوالي عشر مكالمات و لم يكن بالبيت، لكن بعدها فوجئت بعلي أمين يضرب جرس البيت ويقول لي: أنا عارف أن محمد هنا وعايزه .

وخرجا معا وركبا سيارة علي أمين، وبعد ذلـــك اعتـــذر لأحمد بهاء الدين ورجع «الأخبار»، وأعتقد أن الخلاف بينهما كان مهنيا.. فزوجي لم يكن من نوعية الأزواج الذين يحكـــون ما يحدث معهم في العمل .

وعن كتابته عن الحيوانات الأليفة تقول: كان يربيهمـــا في البيت مثل القطط والكلاب وكان يجد نفسه معهما.

وعن ذكريات زواجها تقول إنه تزوجها في عيد مـــيلاده، و"كان ترتيبه أن نتزوج بعد عيد ميلاده بأسبوع لكنـــه قـــال: خلي الجواز يوم عيد ميلادي «لكي يبقوا مـــصيبتين في يـــوم واحد".

ورفض التقاط صور تذكارية لزفافهما وقال لها : أنا أرفض تماما أن أتصور بنظام عريس وعروس.. لو عـــايزة تتـــصوري اتصوري لوحدك ".

**٢٠٠٩/٤/٤**

## شادية لا تسكن غرفة بملايين الجدران

رغم احتجابها عن الملايين فإن الملايين تزداد إعجابًا بها، فقد غابت عن الجماهير وعن الأضواء وأوصدت الأبواب عليها، لكنها لم توصد الأبواب على فنها؛ فمازالت تتابع بعض أعمالها، وتتابع المسلسلات الدرامية وتبدي وجهة نظرها في بعض حيان حول إن كان الممثل جيداً أم لا، وكثيرًا ما هاتفت شهيرة لتبدي رأيها في عمل ما للفنان محمود ياسين .

ذلك أن شادية لم تكن يومًا ما ضد الفن والفنانين، لذا قال لي عادل إمام ذات لقاء : إن هذه الفنانة بالذات يزداد احترامه لها يومًا بعد يوم، لأنها اعتزلت الفن باحترام، لم تتوقف لتهين فنها أو تعيب على الفن، ولا أعلنت ذات يوم موقفًا مشينًا ضد أعمالها، ولا وقعت تحت طائل الإغراءات المادية وتعود لتقدم عملًا أو إعلانًا وتغيب.

وعادل إمام محق كثيرًا في رأيه في شادية .

بينما تجلس شادية في بيتها المطل على حديقة الحيوانات والمسدلة شرفاته بالستائر الخضراء تمارس طقوسها اليومية، وكثيرًا ما يبتهج خالد طاهر شاكر — ابن شقيقها الغالي لديها — وهو يتحدث عن عمته شادية وماذا تفعل الآن ؟ الرائعة شادية لا تسكن " غرفة بملايين الجدران " ، ولكنها

تسكن قلوب الملايين الذين يتابعونها في صمت ويحلمون بلقياها ذات يوم، وهذا الحب به احتفاء بشكل غريب حيث تجد من يحبونها يحتفظون بصورها وألبوماتها وأعمالها السينمائية، ولديهم بحث بكل الطرق عن المكان الذي تجلس فيه شادية، وكيف يلقونها لمجرد التحية والسلام، وقد تحول غياب شادية لأسطورة لدرجة أن واحدًا من مشاهير الفنانين قدم مع شادية عملا أو اثنين قال لي : إنه يعتقد أنها ماتت منذ فترة طويلة وأن التي ترد على الهاتف هي ابنة أختها . ولما أكدت له أنني أحدثها دائمًا وأستطيع تمييز صوتها من ملايين الأصوات وأضفت له أن الشيء الوحيد في شادية الذي لم يتغير حتى الآن هو نبرة صوتها المعروفة، وحاول تصديقي أمام دهشتي من تصريحه الغريب هذا، إذًا ما السر أن يحاول أقارب شادية – أطال الله عمرها – إخفاء خبر كهذا، فشادية ليست بحاجة إلى صنع هالة حولها، فبريق نجوميتها يزداد مع مرور الزمن .. وما عليك إلا أن تطرق أبواب الناقد الفني الشهير محمد سعيد لتجد كل كلمة كتبت عن شادية منذ ولادتها وحتى الآن، بل يكاد يكون الوحيد الذي على اتصال دائم بها من الوسط الصحفي، لدرجة أن كل مكالماتي لهذه السيدة العظيمة أجده على علم بها، ورغم أن محمد سعيد يغضبه القول بأنه صاحب قاعدة المعلومات في أغلب المواقع الموجودة على الإنترنت عن شادية، فإن ما يغضبه أكثر هو قولي إني شاهدت عقدًا من كبرى دور النشر لكتابة مذكرات شادية، ومقدمًا له مبلغ مالي محترم ومبلغ كبير جدًا

لشادية يتجاوز المليون دولار لكتابة مذكراتها ورغم ذلك رفضت شادية، ورفض محمد سعيد المتاجرة بعلاقته بتلك السيدة المحترمة .

وقد أسعدني الحظ كثيرًا بالإقتراب منها ومعرفتها هي وعائلتها عن قرب، وكانت وش السعد عليَّ لدرجة أن أولى الجوائز التي حصلت عليها من نقابة الصحفيين كانت عن كتابي عنها الذي صدر ووزع من خلال مؤسسة الأهرام.

خالد طاهر شاكر أقرب المقربين إليها لأنه يذكرها بأبيه طاهر شقيقها الذي كانت وفاته سببًا رئيسيًا في اعتزالها، فقد كان الأب والأخ والصديق والحبيب والمسئول عن حياتها الخاصة والفنية وكان لا يفارقها لحظة واحدة.

عن يوم شادية وحياتها يقول خالد :

ارتباط عمتي وأبي وثيق منذ الطفولة، وكان بينهما تقارب في كل شيء، وقد بدأت العمل بالسينما وهي صغيرة، وكان والدها ووالدتها يقومان بعملية الاهتمام بها ويظلان معها طوال الوقت، إلى أن كبر والدي وأمسك زمام الأمور، كما أن والدتها لم تتركها إلى أن تزوجت من عماد حمدي .

وقد تستغرب له وهو أبي طوال عمري ما نظرت لها كفنانة، فأنا ولدت في بيتها، وظروف حياتي وحياتها جعلتنا

نرتبط معًا، بمعنى أن عدم نجاح زواج والدي ووالدتي، وظروف عدم إنجاحها في هذه الفترة ولّد رابطة حب ابن بأمه، لذا لم أكن أرى الجانب الفني فيها، لكني كنت أرى جانب الأمومة.. رغم أن حياتي كانت كلها في البلاتوهات، وحياة والدي أيضا، لكن مع كل هذا لم أكن أنظر لها نظرة الفنانة، حتى وأنا صغير كان الناس يقولون لي ابن شقيق شادية، وكان هذا طبيعيا في حياتي؛ لأني كنت أراها كل يوم، وهناك أعمال لها كنت لا أتفرج عليها لأني أحس بالتوحد معها وأبكي لأدائها، مثل فيلم " المرأة المجهولة " لا أراه لأني أنفعل معها انفعالا طبيعيا وبشكل شخصي، وليس انفعالا لأنها تمثل الدور بنجاح، لكني أحس أني أتفرج على شخص عزيز عليّ وتركيبة مختلفة عن الذي يراه الناس، لأنها لم تكن فقط عمتي، فقد تربيت في بيتها و لم أخرج منه إلا عندما بلغت الخامسة والعشرين من عمري، حين تزوجت وحتى خلال سنوات من عمري كلها كانت عمتي شادية بمثابة الأم والأب والصديقة بالنسبة لي، هي وجدتي لأننا كنا نعيش معا، فمن هنا لم أنظر لها نظرة الفنانة، وحتى اليوم حين أشاهد أفلامها أحس أنها أفلام جديدة أشاهدها لأول مرة،وهي الآن تعيش في سعادة وفرحتها الحقيقة تكمن في الصلاة وانتظارها لها .. وهذا في حد ذاته سعادة لها.. ونحن كنا قلقين عليها لأنها لا تخرج من البيت، وكنا نحاول أن نجعلها تخرج، ومع الوقت استطعنا أن نتفهم أنها بانتظارها

للصلاة واهتمامها بها بالضبط كأن عندها مقابلة أو لقاء سعيدا وشيئا مفرحا .

ومن المواقف المحزنة بالنسبة لها أخيرًا أنها متأثرة جدا بأزمة العراق وحزينة بسببها .

أما أصعب المواقف التي مرت بها شادية – يضيف خالد – وفاة والدها .. وأتذكر اليوم جيدا وكان عندي ٧ سنوات، وقد كانت الصدمة شديدة جدا عليها لدرجة أنها لما عرفت الخبر أخذتني بجوارها على السرير وظلت ممسكة بيدي، وأنا كذلك حوالي ثلاث ساعات، وأصيبت بحالة من الاكتئاب الشديد، وكان موقفا صعبا بالنسبة لها، أما الموقف الثاني الذي أذكره فهو وفاة والدي، وكانت صعوبة الموقف أنهما دائما متلازمان، وإن لم يلتقيا فإن التواصل يتم بالتليفون، وكان فراقه صعبا جدا عليها، وأعتقد أن هذين هما أشد موقفين .

كيف تقضي يومها ؟

تصلي الفجر ثم تنام مع الشروق وتستيقظ في العاشرة والنصف صباحا تصلي صلاة الضحى وتقرأ قرآنا على روح والدها ووالدها، ثم تصلي الظهر وتنشغل بعد ذلك في أعمال البيت والتليفونات، فهي الفترة المسموح فيها بالاتصال بها من بعد صلاة الظهر إلى قبل صلاة العصر بنصف ساعة .

بعد صلاة العصر تنام، وتصحو لصلاة المغرب وتصلي حتى أذان العشاء، وتظل بعد صلاة العشاء بساعة تصلي . ثم تجلس لتشاهد التليفزيون، ثم بعد ذلك تصلي القيام والوتر وتنـــام في حدود الحادية عشرة مساء .

**٢٠٠٨/٥/٢٨**

## العم بهاء

تبدو كل محاولات التنظير والنقد لكتابات بهاء طاهر مثل محاولات عربة كارو للحاق بقطار إكسبريس لا يتوقف عند محاولات الحداثة والتفكيكية والبنوية، فبهاء طاهر يحمد الله كثيرًا أنه يجهل ماذا تعني الحداثة ؟ ذلك لأنه يؤمن بأن الكتابة الحقيقية هي التي تكتب عن الناس ولأجل الناس، وكأنه يتبع الهدف الحقيقي للكتابة في أوربا وأمريكا عن الـ( ordinary people )أي الناس العاديين الذين يعيش بينهم ويحس بآلامهم مؤمنًا أن بُعد الكتابة عن الحقيقة يزيفها.. وبهاء طاهر الروائي لا يختلف كثيرًا عن بهاء طاهر الإنسان، وهو حالة إبداعية خاصة في حياتي تدهشني كلما شاهدتها، فرغم جدية أعماله فإنه يحمل روحا ساخرة تميت من الضحك، وحين التقيته بعد زواجي الذي كان حاضرًا له، قال لي : حين دخلت وزوجتك من باب القاعة سيطر عليّ إحساس بأنك ليس العريس، ولكنك " الولد " الذي يدرس في الصف الثاني الثانوي وجاء طارقًا باب بيتي، ولما فتحت له قال بلهجة صعيدية : أنا عايز أعمل معاك حوار لمجلة المدرسة ؟

كنت قد نسيت هذه الواقعة، ولكني ضحكت كثيرًا لها فقد كانت بداية تعارفي إلى الروائي الكبير بهاء طاهر، والذي أناديه

دائمًا بالعم بهاء كلما هاتفته أو التقيته، ورغم أن لهجتي تغيرت وسرقت العاصمة الكثير من عادات الصعايدة التي جئت أحملها، فإن بهاء طاهر دائم التذكر على أني صعيدي، لذا يصر على أن أشرب الشاي ساخنًا " لأنه لو الشاي برد .. ما تبقاش صعيدي "، وهو دائم اكتشاف المواهب وإفساح المكان والوقت لتأخذ فرصتها، فرحب كثيرًا بموهبة بلال فضل، وقرب منه حسن عبد الموجود واهتم بـ " عين القط " وكذلك بإنجيل آدم لمحمد علاء الدين، وهو ينكش في المكتبات عن مواهب روائية جديدة، ويوجه وينصح، وكثيرًا ما سألني " إنت مابتكتبش حاجة " وكثيرًا ما أكذب عليه وأدعي أن لا، فكيف لإعصار روائي أن يقرأ ما تكتب، وكتابتك تظل دون مستوى إبداعه ؟

أخاف كثيرًا في مسألة الإبداع من العم بهاء الذي كتب الصعيد كما لم يكتبه صعيدي رغم أنه لم يعش هناك، ولكن والدته نقلت الصعيد إلى القاهرة بحكاياها وقصصها عن هذا الجنوب المنفي، وقد فعل مثله فتحي غانم الذي لا علاقة له بالصعيد في " الجبل"، ومنها عشق بهاء الصعايدة، بل وذاب فيهم عشقًا وتربطه صداقة قوية بالصعايدة، ليسوا المقيمين في القاهرة فقط، بل والذين يسكنون الجنوب، وقد فوجئت به ذات مرة يهاتفني ويسأل ضاحكًا: هل صحيح هذه الحكاية يا سامي ؟ وحاولت أن أتبين ماهية الحكاية من بين ضحكه

المستمر، وعرفت أن صديقه وأستاذنا الدكتور نصار عبد الله قص عليه حكاية سرقة أول كتاب لي، وهو كتاب أصدرته وأنا طالب في الجامعة عنوانه " حوارات من جنوب الوطن المنسي " وهو عنوان أغلب الأدباء الذين ينحدرون من الجنوب، ومنهم بهاء طاهر، وكنت قد أعدت طبع الكتاب مع ملحق بوثائق بخط يد من أجريت معهم الحوارات بأنها تخصني، وقال لي إنه على استعداد لكتابة خطاب يؤكد أني أجريت الحوار معه لا سواي، وإنه على استعداد لأن يشهد معي في المحكمة إذا لجأت إلى القضاء، فشكرته لأن الكتاب قد طبع بالفعل، وأنهى مكالمته ضاحكًا " سمعت عن كتب كثيرة تسرق لكن أول مرة أشوف حد يسرق حوارات " !

وبهاء طاهر عكس أبطال رواياته المنسحقين والمهزومين دائمًا بسبب ظروفهم الاجتماعية القاسية لا يتخلى عن مبادئه ولا يدفن رأسه في الرمال، ولكنه يقاوم الظلم والطغيان بمقالاته القليلة ورؤيته الصادقة وخوفه على هذا الوطن في حواراته المقل فيها أيضًا، وهو لا يبتعد عن الناس البسطاء رغم أنه يسكن في الزمالك، فهو دائم الترحال إلى قلوب البسطاء في هذا الوطن .

وقد ظلت علاقة المثقف بالسلطة هاجسًا دائمًا في كتاباته مضافًا إليها التحولات الاجتماعية وعلاقة الشرق والغرب، فـ " قالت ضحى " ناقشت مصير الثورة في العالم الثالث، وقدرة

قادها نجاح مسيرتها، و " بالأمس حلمت بك " فيهـــا تلـــك العلاقة المتعبة بين الشرق والغرب، وكذلك "الحب في المنفى".. ورغم أن بهاء طاهر عاشق كبير للزعيم الراحل جمـــال عبـــد الناصر فإنه أجاب عن سؤال لي في أحد حواراتي معه عن " هل التشبث بما يسمى الحلم الناصري مجرد إيمان بالمبدأ، ألم يكن في المحل الأول تشبث بالسلم الاجتماعي الذي صعد عليه ذلـــك الصحفي المحشو بالشعارات في " الحب في المنفى " ؟ فقـــال : " هذا البطل المعذب في " الحب في المنفى " لا يكف عن لـــوم نفسه، أحيانًا بالحق وأحيانًا بالباطل، هو إنسان فائق الحساسية – إذا جاز لي ذلك – ومدمن استبطان ذاته، ومحاولة فهم نفسه ونقدها، حتى على مستوى علاقته بمطلقته، لا يلقي عليه باللوم كما اعتاد الناس أن يفعلوا، أو يجملوا صور أنفسهم، وإنما ينتقد نفسه بمثل ما ينتقد به العالم من حوله . فانا أعتقد أن عمليـــة النقد الذاتي التي يقوم بها لماضيه الناصري، بعـــضها حقيقـــي، وبعضها متوهم .. بمعنى أن الإنسان الناصري المـــؤمن بقـــيم سياسية، الساعي إلى تحقيقها ليس ملاكًا، ولا ينبغي أن يفترض في نفـــسه الملائكيـــة .. هـــو بـــشر لـــه أخطـــاؤه، ولـــه تجاوزاته..ولكن.. يبدو أن هذا البطل يحاسب نفـــسه لأنـــه لم يكن ملاكًا، وهو افتراض مستحيل، وأيضًا يحاسب الآخـــرين لأنهم ليسوا ملائكة، وهو افتراض مستحيل أيضًا، وهذا مـــن أسباب أزمته الذاتية، ولعلي لا أبالغ حين أقول إن بهاء طـــاهر أضاف إلى روائي عالمي مثل باولو كويليو حين ترجم روايته "

ساحر الصحراء "، وعرف به القارئ العربي بشكل كبير، والذي يحب اسم بهاء طاهر ويثق في ذائقته الفنية، لذا فإن جائزة البوكر هي التي شرفت بهذا الكاتب الكبير الدائم التواضع، والذي غضب مني ذات يوم ورفض أن يحدثني لعدة شهور لأني نشرت عنوان أحد حواراتي معه هكذا :

" أنا كاتب بهائي طاهري لا يسعى إلى الجوائز " .. وكانت الجملة ليوسف إدريس كتبها مقدمًا بهاء طاهر قائلًا :"هذا كاتب بهائي طاهري لا يستعير أصابع غيره ".وقد ظل بهاء طاهر طوال مسيرته الإبداعية لا يستعير أصابع غيره لأن المواهب تفسح لها مكانًا يختلف عن السابق واللاحق .

# حكومة تكره المثقفين

محمد ناجي يشبه روايات دار الهلال كما يشبهها بهاء طاهر عتيقة .. ضاربة بعمق في الزمن القديم .. روايات دار الهلال — زمان — هي الكتابة الحقيقية .

هكذا رحت أردد مع نفسي حين عرفت بسرطان الكبـــد الذي ينخر في كبد الراوئي الكبير محمد ناجي دون أن تنظر له عين الرحمة من قبل مؤسسة الرئاسة أو بجلس الـــوزراء أو أي فرد في الحكومة المصرية .

في الوقت الذي يسافر فيه الوزراء والمسئولون ليتفرجوا على الدنيا ويرفلوا في حلة جديدة ويأكلوا أشهى الأطعمة ويحصلوا بعد كل ذلك على بدل سفر، يواجه رجل مثل محمد نـــاجي الموت وحيدًا لأنه لم يحترف شيئًا سوى الكتابة .

الكتابة مهنة بلا سند ولا معين، المهنة الحقيقيـــة الآن هـــي " التهليب "، تستطيع أن تهلب لك كم مليـــون ثم تهـــرب إلى خارج مصر لتعيش في منتجع مثل المنتجع الذي يعيش فيه هاني سرور، وهو ليس هروبًا خارج مصر بالمناسبة، فمثل هؤلاء لا يرون في مصر وطنًا حقيقيًا نظيفًا، سويسرا أو باريس أو لندن كذلك، وهم محقون طبعًا، فمصر هي الـــتي يأخـــذون منـــها الملايين ليعيشوا حياة آدمية في بلادٍ أخرى .

أتراني ذكرت هاني سرور ؟

نعم .. إذن أليس هذا الرجل هو الذي لوث دماء المصريين، فما علاقته بمحمد ناجي ؟

وهل محمد ناجي إلا مواطن مصري يشرب الماء الملوث الذي نشرب، ويسير دمه مثل دمنا في شرايين لا نعرف كم الملوث من النقي فيها ؟

محمد ناجي الأديب الذي شارك في حرب الاستنزاف وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والذي كتب مجموعة من الروايات المتميزة " مقامات عربية "، " لحن الصباح "، " العايقة بنت الزين "، " خافية قمر "، " الأفندي "، وعمله الطويل في صحيفة " العالم اليوم " التي لا أدري لماذا لا تتحرك الآن هي ونقابة الصحفيين واتحاد الكتاب الجهات المسئولة لإنقاذ هذا الكبد الذي يصارع الموت، ألا يستحق كاتب فيك يا بلد أن يُزرع له كبد على نفقتك في الخارج ؟

لقد لخص محمد ناجي عبر رواياته علاقة المثقف بالسلطة، والمحاولات المستميتة من قبل نظام فاسد لإفراغ المواطن من قيمة المواطنة داخله ( ارجع إلى بطل روايته " الأفندي " حبيب الله الأفندي وكذلك روايته " لحن الصباح ")، كما رصد محمد ناجي انهيار الطبقة الوسطى في المجتمع، ولعل محمد ناجي الآن مثل بطل روايته " لحن الصباح " ينتظر التكريم الحقيقي

ككاتب مرموق بأن يتلقى أبسط حقوق الإنسان وهو العلاج على نفقة الدولة التي ينتمي إليها ولا يحصل عليه، ولعلي أكشف سرًا للمرة الأولى فقد اتصلت بالدكتور عبد الوهاب المسيري — رحمه الله — وأخبرته أنني تحدثت مع شخصية ما في إحدى دول الخليج في أمر علاجه، فأخبرني أن الحمد لله الأمير فلان من السعودية تكفل بعلاجه .. هذا ما فعلته مصر بمفكر في قامة عبد الوهاب المسيري .

أما الأديب والمترجم خليل كلفت فقد عولج على نفقة حكومة إيطاليا، ومحمد السيد سعيد على نفقة حكومة فرنسا، ويوسف أبورية لَقِيَ قدره بعد أن حاولت وزارة المالية لهف ٤٠ مليون جنيه تبرع بها حاكم الشارقة لاتحاد الكتاب المصري لعلاج الكتاب المصريين .

لكم الله يا كتاب مصر .

لكم الله .

**٢٠٠٩/١٢/٩**

# فــاصــل للدهــشة

" الناس اللي تحت " كانوا قضيتي الحقيقية الـتي عملـت لأجلها في بلاط صاحبة الجلالة منذ كنت في المرحلة الإعدادية، والحلم يراودني في التعبير عن الناس الذين جئت منهم في صعيد مصر، هؤلاء المزارعون الشقيانون الذين يكملون عشاهم نومًا كانوا قضيتي، وأخذتني القاهرة بدهشتها وتوهانها وزحامها حتى وجدت نفسي مرة أخرى أمام ناس مثل هـؤلاء النـاس ولكن بين دفتي كتاب .

ناس يختلفون عن الذين نشأت بينهم، لكني تعرفت إلـيهم حين أخذني القدر ذات يوم لأسكن في منشية ناصر والدويقة، فعشت ثلاثة أشهر أثناء دراستي الجامعية بينهم، وكـثيرًا مـا صعقت كيف أن هؤلاء الناس على قيد الحياة حـتى الآن ولا تصيبهم الأمراض رغم أنهم يأكلون أكلاً انتهت صلاحيته منذ فترة طويلة ويشربون مياها ملوثة، ويتنفسون هواء غير صـحي بالمرة، وبعد الثلاثة أشهر التي قضيتها هناك شاء لي القـدر أن أعود مرة أخرى وأنا في بلاط صاحبة الجلالة لإجـراء تحقيـق صحفي عن " عزبة الصفيح " حيث يعيش الناس في أكشاك من الصاج وسط العراء، ويشربون من جراكن بيـضاء يـشترونها

ويحملوها من مسافة بعيدة، وعرضت التحقيق على رئيسة التحرير التي أعمل معها، رفضت نشر التحقيق بحجة أن مجلتنا تدخل إلى فئة معينة من المجتمع ولا يحق أن نعكس عليهم، قلت لها : ولكنها تصدر عن مؤسسة الأهرام التي هي ملك لهؤلاء الناس – الشعب – وليس الذين لا يحتاجون إلى الصحافة أو الشعب، المهم أن الحوار انتهى كما التحقيق، ولم ينشر حتى الآن، حتى وقعت على رواية مبهرة " فاصل للدهشة " لمؤلفها محمد الفخراني .. ورحت أقارن بين عوالمها المدهشة وعوالم خالد يوسف في فيلم " حين ميسرة " لأكتشف أنني أمام رواية تكتب الواقع .. تمزقه .. تعرّيه، وأمام فيلم يقدم صورة ضاحكة، بضاعة تعجب الزبون فيقبل على شرائها، كذب على جنس على شباشب على جماعة إرهابية؛ على متفجرات، وده سر الخلطة، أي أنك أمام فيلم " كشري "، وإن كنت أعيب على الروائي محمد الفخراني لذكر الشتائم كما نسمعها بين هؤلاء الناس، والتي قد يكون الروائي تركها إرادة منه في كتابة الواقع كما يراه، وتأخذك الرواية عبر شخوصها سماح يوسف الصحفية التي مزق كلاب ملابسها على سلالم نقابة الصحفيين، وحسين – الراوي – وجنات وحبيبها خليل سائق الميكروباص، ونعيمة عاشقة صوت محمد قنديل وعم سيد وهلال البطل الشعبي الذي يبحث عنه كل المقهورين،

ويتحملون لأجله الانسحاق تحت حذاء القهر – حسبما يقول الفخراني – وأمام تعدد الشخصيات وتمحورها حول الحياة في القاهرة التي تبدأ في الرواية من عزبة الوحايد ومنشية ناصر وحتى باب الحديد مستعرضة البائعين السرِّيحة مارة بوسط القاهرة حيث سعد الحرامي في ( after eat ) ومقاهي وسط البلد يجد محمد الفخراني نفسه في مأزق حقيقي، ظللت ألهث وراء صفحاته الـ ٢٢٥ لأعرف كيف سينهي روايته في ظل شخصيات لا تنتهي، حتى فوجئت به يختار ميدان الحسين وحلقات الذكر التي تتجه إليها " فراولة " – التي اعتادت بيع جسدها – مع حبيبها محروس لتهيم في حياة أخرى .. تعلن توبتها عن هذا الطريق وهذه الحياة، وظلت سماح جالسة على مقهى التكعيبة تدخن الشيشة وتلعب الدومينو وتشرب الشاي، ولو أن هذا ذكاء من الروائي أمام نهاية شخصياته المدهشة إلا أن نهاية العمل لم تكن بحجم دهشة شخوصه مثله مثل نهاية فيلم zodiac .

وهذه رواية تميل إلى الواقعية، إنها الواقعية الأكثر ألماً ومرارة على جزء من مصر إن لم تنتبه الدولة إليه وتهتم به وتوفر له، على الأقل " حق المواطنة " فسوف يعلنها " ثورة شعبية " ويأخذ حقوقه ممن يمنعونها عنه ويسلبون حقه في بلده .

## امرأة واحدة التزمت بموعدها

أنتظر الآن محدقًا في الساعة التي أمامي، مترقبًا لثبوت عقرب الساعات والدقائق والثواني على السادسة، وهو الموعد الذي اتفقت فيه مع الروائي الكبير حنه مينا على أن أهاتفه فيه.

ليس حنه مينا وحده الذي ألتزم معه بالموعد المحدد، فهذا الجيل العظيم كله يقدس المواعيد ويحترمها ويلتزم بها، عكس أجيالنا التي تتأخر دومًا ساعات عن مواعيدها، فهم جيل ملتزم، الوقف لديهم كل شيء، والوقت والعمل لدينا آخر شيء نفكر فيه .

كان الساحر الكبير محمود السعدني يضرب لي موعدًا في التاسعة من مساء كل يوم، فيجدني أمامه في قبوه بنادي الصحفيين بالجيزة، لم تكن لدي سيارة ولا نقود، وكنت أصعد الأتوبيس ذاهبًا من شارع الجلاء حيث عملي في مؤسسة الأهرام، وحتى محمود السعدني في نادي الصحفيين وأصل في موعدي المعتاد، وحتى حين أصاب الولد الشقي مرض عضال وأقعده في البيت ألتزم بموعدي في الذهاب إليه .

ولعل الوقت واحد من أهم العوامل التي تجعلك تحدد شخصية من تتعامل معه، هناك دولا وشعوب تحدد قيمتها

ومكانتها من خلال الوقت، فالشعب الياباني والشعب الصيني لا وقت لديهما للجلسات والقصص والحكايا، بينما نحن كشعوب عربية لا شيء لدينا سوى ذلك، فأنت تحدد موعد لشخص ما لأجل هدف محدد، حُدد لأجله اللقاء، ويأتي ويأخذ واجبه ويقص حكايا وذكريات لا علاقة لها بما جاء من أجله، وبعد ساعتين يفتح معك الموضوع وحين ينهض يجب عليك أن تودعه ( ده أنا ضيفك يا أخي ) وحين تقفان أمام الباب وبعد أن يسلم عليك يتذكر حكاية و "هات يا رغي" ، وقبل أن يتركك تفاجأ بصديق آخر ( كنت فايت من قدام مكتبك وقلت أعدي أسلم عليك ) . ويشرب حاجة وحين تحاول أن تمارس عملك وهو جالس أمامك يقول لك ( يا أخي قدّرني واهتم بي ) في حين أنه لم يقدرك ولم يهتم بك ونسي أن الإنسان يُسأل يوم القيامة عن عمره فيما أفناه .. ويسأل عن وقته، ونسى أيضًا أنك تجلس على مكتب لأجل عمل، تتحمل الدولة تكاليفه تدفع له من إضاءة وتكييف وتليفون وسكرتيرة وساعٍ، وينسى أنك ستحاسب على هذا كله يوم القيامة لأنك بددت الأمانة .

تتصفح الإيميل الخاص بك على الإنترنت فتجد شخصًا لا تعرفه، لا عنده دم ولا إحساس، يرسل لك أسعار حبات الفياجرا والخمور، فإذا كنت أنا في بداية شبابك ولا تتعاطى الفياجرا ، فلماذا يرسل لك هذه الإعلانات التي تضيع وقتك في لا شيء .

نحن أمة تمتلك الوقت لتلهو وتضيع الكثير منه في الكلام عن أحلامها ومستقبلها الوردي، في حين أننا لا نفعل شيئًا لأجل هذا المستقبل الوردي ولا نستفيد من وقتنا لنحقق هذه الأحلام، بل ولا نحسِّن من أدواتنا وكأن أحلامنا ستتحقق لوحدها وبالحظ ودعاء الوالدين !لقد عذبني ضميري إلى درجة البكاء حين أخلفت موعدي الأول مع الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوي، وكان قد جاء من فرنسا للعلاج في معهد ناصر، وكنت محررًا صغيرًا يحبو في بلاط صاحبة الجلالة في مجلة نصف الدنيا، وأيّدت سناء البيسي إجراء الحوار، بينما توقع عديدون في المجلة فشلي في ذلك لأن الدكتور بدوي - رحمه الله - كان حاد اللسان ويرفض اللقاءات الصحفية، وضربت له تليفونًا وحدد لي موعدًا في الخامسة مساءً بعد نقاش في كتبه وأفكاره راق له كثيرًا، وسامح الله حسن التوني زميلي المصور الذي جعلني أنتظره أمام باب الأهرام حتى السادسة مساءً، وعدت وضربت تليفونًا آخر للدكتور بدوي أعتذر، فردت عليَّ شقيقته السيدة ليلى بدوي وأخبرتني أنه نهض من سرير مرضه وجلس على كرسي ساعة كاملة في انتظارك حتى لا تراه وهو نائم مريض، وبعد أن أغلقت الخط انتابتني حالة بكاء، فمن أكون حتى أفعل هذا، بل وأفعله مع إنسان مريض، هاتفته في اليوم التالي وحدد لي موعدًا في نفس

الساعة لألتقيه بعدها ثلاث مرات في حلقات حوارية نـــشرهّا مجلة نصف الدنيا .

أما المرأة الوحيدة التي التزمت بموعد معها فكانـــت هنـــد رستم .. فعلى الرغم من عدم استيقاظي باكرًا فإني في الحاديـــة عشرة صباحًا كنت أقف أمام باب بيتها في شارع محمد مظهر بالزمالك وأجلس في صالون عتيـــق يـــضوع منـــه البخـــور والموسيقى الكلاسيكية .

إنه الوقت الذي ينبئك ذات يوم بنهاية المشوار فاحرص عليه وأنت في بداية المشوار .

## إيه يا نجم

والنجم كلكم تعرفونه، مشهور، معروف، ما إن يهبط إلى شارع حتى تقفز الأفواه وتندهش العيون، يعبر في ثقة، لا يخشى أحدًا، لا يقف في طابور، لا توقفه إشارات مرور الحيـــاة، لا يجرؤ ضابط في كمين أن يسأله عن بطاقته أو أين ذاهب ؟

النجم يملأ الأضواء، شاشة السينما والتليفزيون والمـــسرح تكون له طلة إذا هلّ عليها، التذاكر تخلص بمجرد تصدُّر اسمـــه أفيش الفيلم، البنات الهايفة تجري وراءه، تتـــشعلق في شـــباك سيارته، توقيع أو صورة أو رقصة وبوسة، ولو تعجب النجم ما فيش مانع من ...

النجم مزهزة على طول، فارد قلوعه، وازن دماغه بسيجارة حشيش، وكاسين احتفالاً وابتهاجًا بأن " اللـــه " أكرمـــه، " وربنا " ساعده في اختياره الدور، و " الحمـــد للـــــه مثلـــت بضمير وذمة "، و ... و ... !!

أشياء عديدة لا علاقة لها بما يفعله النجم، فـــلا حيلـــة في الرزق، ولا اللـــه تدخل ليختار له أدواره، وهل يعقل أن يختار اللـــه دور عربيد أو راقصة أو غانية في فيلم ما، ويقول لبطلته هذا يناسبك ؟

بلا شك هناك نجوم يقدرهم الجميع، فأحمل لهــم خــالص الاحترام، بل ويلاقون الاحترام في كل مكان يــذهبون إليــه، تلمح خلف وسامتهم رجولة حقيقية دون تخنــث، يــشبهون نجومًا عالميين في قوة الأداء واحترام الآخر، تحسه أن آل باتشينو أو فورست ودكر، ولا حتى دينــزل واشنطن وهو يمثل وهــو يتحدث وهو يعبر الشارع . نجمنا الذي أتحدث عنه نوع آخر من النجوم، بمجرد أن يضع قدمه على أولى خطوات النجومية يتنصل من كل علاقاته السابقة، يحاول نسيان كل من عرفوه في مشوار الضياع والتشرد، بمجرد أن يصبح صاحبنا " نجم عــالي في السماء " — على رأي صلاح جــاهين — حــتى يرفــرف بجناحيه نافضًا تراب الأيام الخوالي وصداقات الأيام الخوالي .

أعرف العشرات من هذه النوعية، كما أعرف العشرات من المحترمين . أحدهم كان ينام الليل والنهار في مؤسسة الأهــرام، ذات يوم طلب أن أتوسط له لدى الأستاذة سناء البيــسي لأن إحدى الزميلات أجرت حوارًا معه ولم ينشر، رغم مرور أكثر من ثلاثة أشهر عليه، وهو يعتبر أن نشر الحوار حقه فقد وقف أمام يسرا ممثلًا في بداية مشواره، في أحد أعمالهــا الدراميــة.. كان " لازمة " .. حين يصحو من نومه يرتــدي " الحتــة " ويتجه إلى الأهرام ينتظر ويتغذى ويتعشى ويبــوس الأيــادي لأجل صورة أو خبر .

سنوات والنجم معنا حتى أصبح نجمًا من نجــوم الزمـــان، التقيته أخيرًا في فندق هيلتون رمسيس، ليس من عادتي الانبهار بالنجوم فقد عرفتهم في بداية حياتي الجامعيـــة، واعتـــدت ألا أذهب في أي مجاملة يدعونني إليها إيمانًا بالكتابة المستقلة، لكن نجمنا نظر إليّ ذهبتُ لأسلم عليه، قلت له : لا تتذكرني، أومأ بنعم، قلت له اسمي أومأ بمش فاكر، قلت لـــه : أنـــا الـــذي توسطت لك لدى سناء البيسي لتنشر لك حوارًا في مجلة نصف الدنيا .. وتركته ورحلت .

نجمة أخرى تعيش الأضواء الآن كما أرادت، كنا نلتقـــي كثيرًا في نقابة الممثلين أمام شارع المحطة في الجيزة، حيث كنت أسكن في بداية حياتي، عشرات اللقاءات من شارع المحطة إلى نقابة الممثلين للبحث عن دور كان محور حياتها وأملها، وكانت مستعدة لأي شيء .. أي شيء مقابـــل التمثيـــل، ومثلـــت وصارت نجمة، لكنها خسرت شيئًا بسيطًا .. خسرت نفسها .

أصبحت معروفة في الوسط الفني بأنها تحت الطلب والسيادة مقابل دور، ورغم موهبتها المتميزة وتصدرها بطولة الأعمـــال الشبابية وتصدر صورتها لأغلفة كل المجلات المصرية والعربيـــة فإنها دائمًا ترى نفسها عارية .

مطرب شهير متميز بشعر صدره، حين تجلس إليه يـــصعب عليك، تبوسه وتحطه جنب الحيط، صوته جيد، أفضل مطرب

يمثل، لكنه حزمة أكاذيب تمشي على الأرض، ظل يــزورني في مكتبي عدة أشهر بهدف قيادة حملة منظمة على مطرب أشــهر لأنه يحاربه، كنت أنظر إليه وأكاد أموت من الضحك داخلي، وهو يكذب ويكذب ويطلب مني أن أهاجم المطــرب إيــاه ونصنع حملة صحفية تربط اسميهما ببعض، ولما لم يجد مني أملًا كت وطار وراح يبحث عن قلم ليشتريه .

مطرب آخر يتميز بالرومانسية والحزن في صــوته، قــابلني ومدير أعماله، والعرض مغر، ومرتب بالدولار والمهنة مستشار فني، تكتب حوارات باسمه، تفبرك أخبار، تنشر حكايات عنــه مع الجميلات، تدعي أن هناك عشرات السيناريوهات معروضة عليه، لكنه يرفضها لأنه يبحث عن دور محترم، أريته كارنيــه نقابة الصحفيين والمهنة فيه " صــحفي " ولــيس " مستــشار وساخة " أعرض وغضب، تعاركنا بألفاظ غير لائقة، قــال : بكره أجيب عشرة يشتغلوا معايه.. أنت فاكر نفسك إيه قلت له : السماسرة كتير .

ممثلة معروفة، أغلب أدوارها بطولات تليفزيونية، اتجهت إلى السينما أخيرًا، ولها قصة معروفة مع نبيل البوشي قد تفجرهــا الأيام القادمة، كما أن لها قصة شهيرة مع شخــصية سياســية تسهم في صناعة الفساد الذي نعيشه الآن، أنقذها مــن أحــد

المواقف المحرجة التي كادت تتورط فيها، بعد ذلـــك مـــسحت اسمي من على هاتفها ونسيت أننا التقينا ذات يوم .

فنان وفنانة يجمعهما قفص الزوجية منذ ســـنوات طويلـــة، اصطادا منتج خليجيًا وعزماه على العشاء، جـــاء الرجـــل في الموعد في بيتهما، لم يجد سوى الفنانة، اتصل به الزوج قائلًا له: احتمال أرجع متأخر .. البيت بيتك خد راحتك .

صاحبنا لا طلع منتج ولا يحزنون، أعجبته الفنانة وكـــان في نفس يعقوب غرض، وبعد ذلك عرفا أنه مشهلاتي خليجي .

نجم مبهر عاد إلى السينما أخيرًا يقر أن الشذوذ حق طبيعي يمارسه الإنسان في مجتمعه، يتحدث عن هذا في الحفلات الـــتي يذهب إليها، لابد أن يكون معه " صديق "، يميـــل كـــثيرًا إلى مصادقة أهل الخليج، ويبدو بعضهم سعيدًا بشذوذه، وكمـــان مع نجم مشهور .

وحكايات وقصص منها قصة قد يأتي يوم ما لأكتبها عـــن فنانة حاولت بكل الطرق إخراجها من قضية آداب لإيماني بأن اللـــه حليم ستار ولاعتقادى بأنها مظلومة، وعن مطرب ترعى سمو الأميرة كليباته، وعن صراع الفورسيزون بين مطرب لبناني ومطرب مصري وشاعر عراقي في جنـــاح الأمـــيرة الخـــاص و...و...و... و " يا أهل المغنى دماغنا وجعنا .. دقيقة سكوت

للـــه " . احترموا أنفسكم وقدموا فنًا حقيقيًا لأجل الناس، ولا تقتلوا الإنسان الحقيقي داخلكم، فبقدر قيمة الإنسان واحترامه لنفسه بقدر قيمة الموهبة، الجسد والموهبة هبة مـــن اللــــــه لا تحددوها بـــ .. كم ؟

## يا أهل الفن بعضًا من ..

يصعب كثيرًا أن تضرب علـــى أنّـــات الألم في لحظـــات الانكسار التي يعيشها البعض حين تعصف بحياته أزمة حقيقية .

يصعب كثيرًا أن تخرج عن المألوف وتساند الباطل وتكتب ضد الحق .

يصعب كثيرًا أن تقول " يستاهلوا " فلا توجـــد تهمـــة في التاريخ أقذر ولا أحقر من تهمة " الشذوذ الجنـــسي "، أنـــت تصيب الرجل في مقتل، تلقي به في غياهب نسيان الرجولـــة، تمامًا – أو أكثر – بأن تقول بأن هذا الرجل مصاب بالضعف الجنسي ولا أمل في علاجه .

تلك التهمة الحقيرة التي وصم بها نور الشريف وخالد أبـــو النجا وحمدي الوزير ووصلت إلى ساحات القضاء، والـــتي لم تسئ إليهم فقط بل أساءت إلى كل صحفي شريف صـــاحب قلم يتأمل قبل أن تمتلئ الصفحات البيضاء أمامه بالحبر الأسود، يتوقف ليعرف ماذا يكتب ومن يذبح .

يصعب كثيرًا أن تكتب عن مساهمة ومشاركة الوسط الفني في التهم التي يوصم بها، وهو يصعب لسبب واحد أننـــا أمـــام ثلاثة أشخاص مظلومين مفضوحين دون جريمة ارتكبوها، لكني سوف أتجاوزهم لأتحدث عن مساهمة الوسط الفني في فضائحه،

التي – في أحيان كثيرة – يضعها بنفسه، فكلما سـافرت إلى مهرجان ( بالذات عربي ) رأيت الفنانات المصريات يقـدمن عرضًا جسديًا بفساتينه العارية، أجساد بيضاء تبحـث عـن مشتر.. وكأنك تتابع عرض فتيات الليل في حديقة الماريوت أو في جراند حياة .

هذا ما يتوصل للمشاهد والمتابع لعرض الأزياء المتواصـل، وعلى الرغم من أنني شاهدت فنانات عالميات – ( ميج رايـان على سبيل المثال ) – ترتدي فستانًا عاريًا لكنه أبدًا لم يكـن مثيرًا، أبدًا لم تسكنه امرأة تبحث عن أمير بترولي يدفع الثمن، أبدًا لم تكن تسعى إلى صُرر من أموال مكدسة تعود لها .

أقولك لك ولا تسألني ماذا فأنا حتى لا أعرف لماذا ؟

٧٠٪ من فناناتنا يسعين إلى الزواج من رجال أعمال .

٧٠٪ من فناناتنا لهن علاقات برجال مشبوهين .

٧٠٪ من فناناتنا يتنازلن عن كل شيء في البدايـة حـتى يصلن إلى مرحلة النجومية ليكن قدوة .

٧٠٪ من فناناتنا يرون أن الشهرة لن تتحقق إلا بالـــ " خلع " .

٧٠٪ من فناناتنا لا يدركن أن الفن قيمة ومكانة وموهبة واحترام .

٧٠٪ من فناناتنا لديهن فضائح وتهديدات بالقتل وبيزنس وجنس .

٧٠٪ من الرجال والنساء يقدمن أعمالًا فنية لا علاقة لها بالفن، ولكن لها علاقة بالفلوس .

٧٠٪ من الرجال والنساء ينافقون الأنظمة ويسعون إليها ولا كلمة حق لديهم تخرج من أفواههم لنصرة شعب مظلوم أو المطالبة بديمقراطية عادلة .

الوسط الفني يريد حائطًا لا تسترق له الآذان، يريد أن يفعل ما يريد وقت أن يريد دون أن يحاسبه جمهوره الذي يدفع له ثمن مجده وثمن طعامه، معتقدًا أنه لا دور للفنان إزاء مجتمعه " أنا فنان ولازم المجتمع يقدّر ده " .

لا أحد يستطيع التدخل بين علاقة الإنسان بربه، ولا أحد يستطيع أن يدخل الناس الجنة والنار، ولا أحد يستطيع أن يحجر على فن أو فنان، كل شخص حر في حياته الشخصية يفعل فيها ما يريد شريطة ألا يؤذي الناس وألا يهدر قيم المجتمع وألا يجاهر بذنوبه، إذا أراد الاستمرار فيها، ثم إن الغريب أن أحد مخرجينا الكبار عاش حياته كلها والجميع يعرف أنه شاذ جنسيًا، ولم يتحدث أحد، لم يهاجمه أحد، كلنا يعرف أن أحد المسئولين مصاب بذات المرض ومع ذلك لم يناقشه أحد سوى

في عمله، ثم هل يعقل لمن أراد أن يمارس الشذوذ من هؤلاء الفنانين أن يرتاد فندقًا خمس نجوم وغالبيتهم لديهم فيلل وقصور على أطراف القاهرة يفعلون فيها ما يريدون .

المسألتان تثيران الغثيان، الفبركة الصحفية والشذوذ الجنسي، كلتاهما أقذر من بعضهما البعض، وواحدة منهما كافية لأن تحط من وضع الإنسان في مجتمعه، ولقد تأملت هذه الظاهرة طويلًا وكتبت عنها في رواية لي مندهشًا كيف يترك إنسان الأنثى التي وهبها الله له وجمّلها وأسبغ عليها معالم جمالية نادرة أو حسب صلاح جاهين " .. يا اللي نهيت البنت عن فعلها، قل للطبيعة تبطل دلع "، أقول كيف يترك الإنسان الطبيعة ويتجه إلى هذه الحقارة ؟

بالتأكيد – وأعيد تكرارها – لا أوصم الفنانين الثلاثة بهذه التهمة ولكني متأكد من براءتهم منها، وصاحب الفطنة السليمة لديه نظرة في المثليين جنسيًا، ملامحهم واضحة، لكنها لا تمتد إلى فنان محترم مثل نور الشريف، ولعل التمني يتمسك بسن قلمي بأن يتذكر فنانينا وفناناتنا أن هناك مجتمعًا جائعًا – (طعاميًا وجنسيًا ومظهريًا وحياتيًا ) – يعيشون فيه ويقدمون فيه أعمالهم، فبعضًا من المراعاة يا أهل الفن لأجلكم ولأجل الفن .

٢٠٠٩/١٠/٢١

# الاسم محرر فني

قلت لصديق لي يترأس قسم الفن في جريدة يومية مستقلة : ما الحال إذن ؟

أجابني : أعرف أنهم يعملون لدى عدد من الفنانين ، وأنهم ينشرون أخبار هؤلاء الفنانين ، حتى إن إسعاد يونس هاتفت ذات يوم رئيس مجلس إدارة الصحيفة ضائقة ذرعًا بمحرر ينشر أخبارًا مفبركة عن شركتها لصالح أحد الموزعين الكبار في مصر ، وأعرف أن فلانًا يعمل مع هذه الفنانة ، وأعرف آخر يعمل لدى خمسة فنانين في وقتٍ واحد .

قلت له إنها مسألة مخجلة، فإذا ارتضى شخص ما بأن يبيع قلمه الذي هو شرفه مقابل المال، وأن ينشر أخبارًا مفبركة لصالح مطرب ضد مطرب آخر ، أو ممثلة ضد أخرى ، فكيف ترتضي أنت الصمت إزاء هذا الأمر ؟

" وماذا أفعل لهم، أغلب محرري الفن كذلك " ؟

المسألة لا علاقة لها بمحرر فن أو محرر اقتصاد لكن لها علاقة بشرف الكلمة ، وقد عملت محررًا فنيًا في بداية حياتي وتعرضت لتلميحات من عدة فنانين وفنانات لهذا الأمر، لكن لم يستطع أحد أن يحدثني في الأمر صراحة ، وإلا كنت بصقت

في وجهه، ولا أعرف كيف لإنسان أن يدخل جوفه أو جوف أولاده قرشًا من حرام ؟

ألا يتألم .. ألا يحس بالندم ؛ والطعام الموضوع على المائدة أمام أسرته من حرام؟

ثم إن الأمر ليس خطأ المحررين ولكنه خطأ هؤلاء النجوم الذين يضيئون في السماء، ويتهافت الناس عليهم دون أن يعرفوا حقيقتهم ، وهم يشبهون بذلك إصرار بعض الصحف على عدم نشر أسماء المستشفيات الخاصة التي تجري عمليات تقتل فيها المرضى بدلًا من إنقاذهم ، إن نشر اسم المستشفي هو من أخلاقيات الصحفي والصحافة ، لكي لا يُقتل إنسان بريء لا ذنب جناه إلا أنه مريض ذهب ليتعالج فيها .

عديدون هؤلاء الفنانين الذين يحاولون البقاء بالفبركة وبيع قصص خيالية لا علاقة لها بالواقع ، البعض منهم لديه جيش من الصحفيين براتب ثابت ، أما ميكي ذو العيون الزرقاء فالحوارات الصحفية " متألّفة " ومكتوبة، ومن أراد أن يجري معه حوارًا فليأخذ الحوار جاهزًا بصوره ، وقد كانت فضيحة مدوية في العام الفائت حين نشر له حوار واحد بنفس العناوين والمقدمة في عشر صحف في وقت واحد .

المحرر لم يقم حتى بمجرد تغيير العنوان والمقدمة !

بالتأكيد هناك بعض من المحترمين في هذا الوسط الذين يحرصون على عدم " الدفع " مقابل ما يقولون، ويحسون بأن ذلك إهانة لهم ولمكانتهم ولاسمهم ، ولكن الأكثرية على استعداد لفعل أى شيء مقابل الوجود، وهناك من هو على استعداد لأن يبيع مقابل أي شيء حتى لو كان " عشوة " وهناك من الزملاء الشرفاء كثيرون يحبون هذه المهنة ويحرصون عليها ولا يبيعون أنفسهم مقابل أموال الدنيا كلها وتربطهم صداقة محترمة بأغلب الفنانين ، الفنان يصادق الصحفي النظيف أما الملوث فيستخدمه .

ترى حين أفقأ عينيك ، وأثبِّت جوهرتين – مكانهما – هل ترى ؟ هي أشياء لا تشترى ؟

لأجل هذه الأسباب وغيرها الكثير – ربما تتيح لي المساحة والوقت ذات يوم لأرويها – اعتزلت وظيفة " محرر فني " منذ سنوات طويلة ، لكنها ذكريات تلح على ذهني كلما ظهر في الأفق قلم يبيع .

# اشتغالات

قررت هذا الأسبوع اشتغال عدد كبير من مطربات الجيل اللواتي يتميزن بأجسادهن المثيرة لكل خلق الله، والمعذبة حتى للفئران في جحورها محاولاً أن أضحك وأصدقائي، وأعرف أن ما أفعله ليس إلا ليعرف الناس أن هؤلاء السطحيات لا هم لهن سوى الشهرة والبريق وحصد الملايين سواء من خلال فنهن أو من خلال أشياء أخرى .

بحثت في دليل التليفونات الخاص بهاتفي، لم أجد إلا رقم شادية، اتصلت بعدد من أصدقائي محرري الفن وحصلت على أرقام أغلب الشهيرات جدًّا واللواتي يتصدرن نجوم الأغنية بأصواتهن وأجسادهن .

المكالمة الأولى كانت بالنجمة اللبنانية الشهيرة والتي ما إن سمعت صوتها، حتى تذكرت رقصتها المثيرة أمام راغب علامة على المسرح قبل أن تحقق شهرتها، لكنها لم ترد .. كتبت لها sms " أنا شاعر غنائي اسمي كامل الشناوي، غنى لي العديد من العظماء، فكتبت أغاني لعبد الحليم وشادية ونجاة وعمرو دياب، وكنت مهاجرًا في أمريكا وعُدت، ولدي أغنية مناسبة لك اسمها اكدب عليك ياواد، كدبك على قلبي شيكولاتات، مسيري أدوَّبك وعن كذبك أتوِّبك " .

بعد استلامها الرسالة هاتفتها فردت عليَّ مُرحبة بالشاعر الكبير وأنه شرف كبير أن تغني لي بعد العمالقة، وحددت لي موعدًا الأسبوع المقبل في حضور فلان، الملحن الذي قدم لها ما يزيد على العشرة ألحان وفرح جدًا عندما علم بقدومي من أمريكا .

المطربة الثانية مصرية وحنِّينة وتحب مصر مثلنا وصوتها أخاذ ومتميز، وعن نفسي أحب أن أسمعه كثيرًا، وقد تألمت لهذا المقلب لكني لم أستطع منع نفسي، فقلت لها إنني الشاعر الغنائي زكي نجيب محمود، ولدي أغنية لا يستطيع صوت أن يغنيها مثل صوتك، طلبتْ مني الاتصال بملحن صديقها، لكني أصريْت على لقائها، اعتذرت لي بحجة انشغالاها بالتجهيزات لعدة حفلات، قلت لها إنني إلى جوار الشعر الغنائي المعد الرئيسي لبرنامج سوف تذيعه الـ mbc قريبًا ونريدك ضيفة رئيسية وأولى فيه، استراحت كثيرًا وبدأت البشاشة على صوتها وقالت لي : بس إنت عارف أنا باخد كام في الحلقة ؟

أعرف حبها للوجود في أي مكان " يدفع "، فأخبرتها أنها سوف تحصل على أعلى أجر وأنها سوف تأخذ مثل أجر أصالة وأحلام ولطيفة ونوال مجتمعات، فقالت لي : " كم ستدفعون لي ؟ قلت لها: طب والأغنية، قالت سوف أغنيها خلينا في

الأجر . قلت لها : خمسة جنيه مصري .. سبّتني وأغلقت الهاتف .

المطربة الثالثة والتي قدمت فيلمًا فاشلًا وشاركت بأغنية في فيلم هذا الموسم فشل أيضًا وأغنيتها نجحت، عرّفتها بنفسي فأنا الشاعر الغنائي الشهير جلال دويدار، وأعمل محررًا فنيًا في جريدة الأخبار ولدي أغنية مناسبة لك، والذي زاد منه دهشتي أنها لم تعرف أن الأستاذ جلال دويدار رئيس لتحرير الأخبار التي تحتفي بأخبارها دائمًا، وطلبت مني أن أهاتفها الأسبوع المقبل لأنها الآن في دبي .

مطربة أخرى تفتعل دائمًا المشاكل في الوسط الفني، وترى أنها فنانة مثقفة عكس عديدات لا يفقهن شيئًا في الفكر والثقافة، هاتفتها لإجراء حوار صحفي معها وطلبت إجراء الحوار بالتليفون، وبعد سؤالي لها عن آخر أعمالها ورؤيتها الفنية، وماذا ستختار من الأعمال المعروضة عليها قلت لها إني على علاقة جيدة بعديد من الشعراء الغنائيين، وهم أصدقائي مثل يوسف القعيد وأمين يوسف غراب، ضحكت قائلة : بس مش غريبة إن شاعر أغاني يسمي نفسه غراب .. يا عم قل لصاحبك ده يغير اسمه لأنه هايبقى نحس على الأغاني اللى بيكتبها.

ضحكت – ولكن ليس لتعليقها – وقلت لها هناك أيضًا صديقي لويس عوض وهذا خطير في كتابة الأغنية ومُلم بالثقافة الفرنسية بشكل لا تتخيلينه، وساكن في الإسكندرية على البحر مع سعيد عقل وزوجته التي كتبت العديد من الأغنيات .. أكيد تعرفينها ؟

– من هي ؟ سألتني .

– فريدة الشوباشي، قلت لها، فقالت : أعرفها ولها أكتر من أغنية مع محمد منير .

صدقت على كلامها معتقدًا أن اسم الشوباشي مناسب لأغنيات محمد منير حسب تفكيرها .

أنهت حوارها معي بالحصول على موبايل لويس عوض، ورفضت أن تأخذ موبايل أمين يوسف غراب . قلت لها : معك حق .

## كافكا على الشاطئ

مثل بطل هاروكي مور اكامي في روايته " كافكا على الشاطئ " أغوص في دهاليز الحياة حاملاً حلمي على كتفي، هاربًا من بلاد راحت تحتويني فلفظتني، متدثرًا ببعض من ملابس وبعض من طعام وبعض من حياة، باحثًا — كما البشرية جمعاء — عن سر السعادة الحقيقية، غارقا في كتب على كتب، لا شيء في بداية المشوار أو نهايته سوى كتب، هم الأصدقاء الحقيقيون، وبعض من البشر يقررون فجأة حرمان أنفسهم من أشياء عزيزة على نفوسهم لأجلك.

من هؤلاء البشر الأب الأول، صاحب نقطة العرق التي تسيل على سلسلة الظهر آخذةً معها نقاطا أخرى، والجبين المتعرق لذلك العامل بحثًا عن لقمة حلال، يصعد بكيس الرمل والأسمنت طوابق عليا ليبقى في الدنيا، يهرول ابنه — الذي صار فيما بعد أنا — يحمل عنه همّ سنوات من العذاب، يحاول الطفل الغض أن يحمل كيس الرمل عنه لكنه يسقط على الناحية الأخرى، ننظر إلى بعضنا ضاحكين، فقد انصهر الأب والابن من قسوة الألم فخرجت الضحكة بلا ألم .

رجل ثانٍ — ليس على وزن رجال فيفي عبده طبعًا — يأخذني من يدي ويلقي بي على سلم النجاح، يتوكـو على

جسده المريض ويأتي في منتصف الليل خصيصًا ليساندني، وددت أن أقبّل جبين الأب الثاني رجاء النقاش لكنه عاد إلى القاهرة في نعش .

الأب الثالث كان محمود السعدني، فتح أمامي أبواب البهجة، وجعلني أطرق أبواب العاصمة دون خوف، وحين كانت الدنيا توصد أبوابها في وجهي لم يكن هناك أحد ألجأ إليه سوى محمود السعدني الذي لم يوصد يومًا بابه في وجهي . وأشهد أنه حماني وساعدني، حين أهاتف ابنه الرائع أكرم لزيارتهم يفتح أمامي باب بيتهم كما كان السعدني يفعل، حب وثقافة وحمام وكوارع ووزراء وفنانين و ...

الأب الرابع كان سليمان الحكيم، الرجل الذي منحني أغلى ما يملك في الحياة، وصار لدي أغلى ما أملك، كثيرًا ما حاولت مثل طفل صغير مشاكسة هذا الرجل وعناده، فما يلبث أن يتركني حتى أركض خلفه كطفل صغير يريد من أبيه قرشًا لكي يشتري حلوى .

حاولت كثيرًا أن أثبت أنني جدير به، لكني في كل مرة لم أكن على مستوى هذه الجدارة، ولعل الندم الوحيد الذي يعتريني حين أجلس إلى نفسي ندمي على أنني لم أقترب من تجربته الإنسانية والمهنية كما يجب، ولكم تمنيت أن أحمل له باقة

من زهر وكلمات من شعر، لكني عذري أن قلبي ليس كـــبيرًا لأن من هم مثله يحتاجون قلبًا في حجم الـــدنيا كـــي يحبـــوه ويعرفوا قيمته .

الأب الخامس لعله كان الأب الثاني وهو شيخ مسجد قريتنا إسماعيل محمد مسلم – رحمه اللـــه – الرجل الـــذي أعطــاني تفسير ابن كثير وديوان نزار قباني " الرسم بالكلمـــات "بيـــد واحدة، ليؤملني حكمته بعد زمان طويل بأن الدين والـــدنيا لا يختلفان فقد خلقا لسعادة الإنسان .

هناك عشرات من الآباء كنت أجد في كل محطة من محطات حياتي من ينتظرني ليأخذ بيدي، بعضهم تاه مـــني في زحـــام الحياة، بعضهم اختطفه الموت، بعضهم غيبه المرض، ومن بقـــي معي لم أستطع أن أقول له ذات يوم " شكرًا " .. ولا أعـــرف إن كانت نظرة تلحظها العيون كافية أم حديثًا باللسان أم ...

لاشيء في الدنيا يعدل رد الجميل لمن آذروك وحموك مـــن صقيع الحياة ونزعوا جزءًا من ملابسهم، بل جزء من جسدهم لكي يخبئوك من الألم، كما لا تتوانى إذا تعرضت لانكـــسار، فالحياة دائمة الفرح والحزن حالها لا يتغير لكننا نحبها، وأعبرها ببراءة الأطفال أو حسب قول نجيب محفوظ :

" لا تجزع فقد ينفتح الباب ذات يوم أمام الذين يعبرون في الحياة ببراءة الأطفال ".

لا أجزع لكن أطلب من أصدقائي .. من قرؤوا لي ، من أعجبتهم كلماتي فأطروا عليها ؛ ومن لعنوها ولعنوني ، أطلب اليهم بعضا من الراحة فعناء الكتابة كبير ، وهم ووجع إنساني لا أحتمله الآن .

أعرف أني لا أتحمل غيابكم وقد أعود للمشاكسة والقرب منكم في أقرب وقت ، لكني أريد الابتعاد الآن إذ أحس بأني ما زلت على الشاطئ، وأنا أهوى دائما مصارعة الأمواج العاتية .

لكم جميعا وللجريدة " المصريون " – التي تحملت جرأتي وأدركت أن الكتابة إن لم تكن قطعة من نار فلا قيمة لها – محبتي وتقديري .

٢٠١٠/٣/١٨

## تصريحات أضحكتني

● الشعب خلف قيادة مبارك لمواجهة الفتنة واستهداف وحدته الوطنية.

*صفوت الشريف*
*جريدة الأخبار*

● حتى لا يتحول المثقف إلى رجل أمن.

*جريدة روزاليوسف*

● ما الذي تتوقعه من شخص لقبه الرسمي أنه " مرشد ".

*عبد اللـــه كمال*
*روزاليوسف*

● صعود اليسار في ألمانيا.

*جريدة الأهالي*

● الحزب الوطني يؤكد دعمه ومساندته لحملة " أخبار اليوم " لمواجهة ارتفاع الأسعار .

*مانشيت أخبار اليوم*

● كله بنفَسَك ياريس.

*أخبار اليوم تعقيبًا على فوز مصر*
*بكأس إفريقيا*

● التوك توك ابن مين في مصر.

*أخبار اليوم*

● الغاز المصدر لإسرائيل أهدافه اقتصادية.

*محمد علي إبراهيم*
*الجمهورية*

● قطط في حضن المرضى في إنعاش قصر العيني.

*أميرة عبد السلام*
*الأهالي*

● أولمرت يرصد ١,٥ مليار شيكل للناجين من المحرقة.

*جريدة الأحرار*

● مجنون حاول تقبيلي في ميدان التحرير.

*جيهان قمري*
*جريدة المصري اليوم*

● رفضت ضغوطاً أمريكية لأجل مزيد من الإثارة.

*جيهان راتب*
*جريدة الخليج*

● دومنيك حوراني هي النجمة الثانية التي تزور مهرجان كان وهي حامل بعد أنجلينا جولي .

*جريدة الأخبار*

• الذي ينتقدني يبقى بينتقد مصر.

*تامر حسني*

*وكالات الأنباء*

• ضبط كاميرونيين أثناء إيهام الضحايا بتوليد الدولارات في الزاوية الحمراء.

*جريدة المصري اليوم*

• البنات بكل صراحة : من حقنا أن نجرب كل شيء .

*مجلة الشباب*

• عروس تهرب قبل زواجها لتختلي بنفسها بعض الوقت.

*واشنطن*

*جريدة الأهرام*

• إدوار الخراط أعظم أديب عربي في النصف الثاني من القرن العشرين، وفي العقد الأول من الألفية الثالثة، بل وتجاوز العمالقة توفيق الحكيم ونجيب محفوظ والعقاد .

*د. ماهر شفيق فريد*

في احتفالية بالخراط في المجلس الأعلى للثقافة

• صنعاء : سفيرنا في سوريا مضطرب نفسيًا.

*صنعاء د. ب . أ*

• أصر رونالدو ، لاعب ريال مدريد ومهاجم منتخب السامبا البرازيلية على تغيير حذائه للخروج من حالة الجفاف التهديفي التي يمر بها .

*جريدة المصري اليوم*

• مصاب يهرب من المستشفى ثلاث مرات في يوم واحد.

*جريدة الخليج الإماراتية*

• كنت أعرف أن برجي التجارة العالمي سينهاران حيث حلمت بذلك .

*نجوى كرم*

*وكالة فلسطين برس للأنباء*

• محمود سعد كان في الأصل محررًا فنيًا ورئيس تحرير مجلة الكواكب إلا أنني شعرت أن لحية نبتت له فجأة وجحظت عيناه وبرزت زبيبة صلاة على جبهته بعد هذا الدفاع المستميت عن الإخوان الذي جادل الوزير كثيرًا في أنهم ليسوا " محظورين "!

*محمد علي إبراهيم في الجمهورية*

*تعليقًا على حوار محمود سعد مع*

*أنس الفقي في البيت بيتك*

● هناك من يتحدث عن أم الرئيس ويقول إن اسمها نعيمة.. واللي يتكلم عن أمي هالعن اللي خلفوه .

*أنس الفقي وزير الإعلام*
*جريدة البديل*
*٢٥/٦/٢٠٠٨*

## تصريحات أضحكتني تاني

● المجلس المالي خالف قرار المجمع المقدس .. و " اللي حضّر العفريت يصرفه " .

*لبيب حليم*

*المصري اليوم*

● لا أتعاطف كثيرًا مع أولئك الذين يشربون الشاي بالنعناع، أو الليمون .. ذلك أن الشاي، شاي .

*أحمد المسلماني*

*المصري اليوم*

● حقيبة " إلكترونية " وإنترنت " لاسلكي " .. لكل تلميذ .

*جريدة الأهرام*

● موقع الجماعة الإسلامية على شبكة الإنترنت مثل ديار عاد وثمود ولابد من حل الجماعة .

*هاني السباعي*

*أصولي مصري مقيم في لندن*

*جريدة البديل*

● شباب عراقيون يغيرون جهاز الموبايل شهريًا وتهمة " أنتيكة " تلاحق من يحتفظ بقديمه .

*جريدة الحياة اللندنية*

*عاطل يحترف الدجل الطبي وتصنيع أدوية الكبد والفشل الكلوي وأغذية الأطفال .*

*المصري اليوم*

*المدرب ضرب الحكم في الملعب واستعان بصديق ليُجهز عليه في مركز الشرطة .. ليس حبًا في الرياضة إنما عشقًا في التبوير.*

*إبراهيم حجازي*

*الأهرام العربي*

● **هيستريا ريال السلطان فؤاد تجتاح الأسواق.. السعر ٣٠٠ ألف جنيه ومعركة على " بروش " فريدة .**

*الجمهورية*

● **عصابة يقودها إسرائيلي وراء أزمات العمالة المصرية بالخارج .**

*مساعد وزير الخارجية في جامعة المنيا*

*الوفد*

● **مصر أخذت نصيبها من الفوضى الأمريكية الخلاقة .. ونحن ندفع ضرائب التحول .**

*صفوت الشريف لعبد الله كمال*

*روز اليوسف*

● **الهلال الأحمر بسوهاج .. مستشفى يهرب منه الأطباء ويعزف عنه المرضى .**

*روزاليوسف*

• الـدخلاء و " الميكروفـون " والتلـوث يمنعـون ظهـور قـراء جيدين .

*روز اليوسف*

• عـاهرات في بوليفيـا قمـن بخياطـة شـفاههن احتجاجًـا علـى إغلاق بيوت الدعارة .

*وكالات الأنباء*

• الإخوان المسلمين لديهم ٢٥ عضوا فقط داخل مجلس الـشعب وبـاقي الـ ٨٨ أعـضاء في جماعـة الـسُّنة المحمديـة والجماعـة السلمية .

*الدستور*

• بائع سجاد إسترالي يعـرض حياتـه في المـزاد، وتـشمل بيتـاً وسيارة وموتوسيكلاً ودائرة واسعة من الأصدقاء، لأنـه قـرر أن يبدأ حياة جديدة بعد طلاقه .

*وكالة الأنباء الألمانية*
*وجريدة الشرق الأوسط*

• " جبهة علماء الأزهر " تتوعد أحمد عز بعقوبتي " الجذام " و "الإفلاس".

*جريدة الراية القطرية*
*٢/٧/٢٠٠٨*

# أخطاء مطبعية أضحكتني

- ملعون أبو المحافظ.

*مقال لمصطفى أمين عن سرقة محفظته وسبّب له الكثير من المشاكل حيث فهم أن المقصود محافظ القاهرة .*

- مصرع السفاح عبد الناصر في باكستان.

*الأخبار*

*١٠ أبريل ١٩٦٠*

صودرت الصحيفة وحوصرت بقوات الأمن وكانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير وأدت إلى تأميم الصحافة المصرية .

- المشير عامر انتقل بعد المناورة إلى تل أبيب .

التصحيح : المشير عام انتقل بعد المناورة إلى تل قريب.

الأهرام

- رحم الله فلان الفلاني، وأسكنه فسيح جناته إن وجد له مكان !

*أنطوان الجميل ماضيًا على نعي وصل متأخرًا لنشره في الأهرام ونشر بهذه الطريقة .*

• الصحيفة تثني على عِمة الشيخ الخضري الكبيرة.

- التصحيح : الصحيفة تثني على همة الشيخ الخضري الكبيرة.

(وكانت عمة الشيخ الخضري كبيرة بالفعل مما أثار أزمة بين الشيخ والأهرام)

*الأهرام*

• الأهرام تطالب بتجريد ثياب القضاه.

- التصحيح : الأهرام تطالب بتجديد ثياب القضاه.

نشر في الأهرام وأحدث أزمة، تم تصليحه في اليوم الثاني وعوقب المسئول عن الخبر .

• وصل الزعيم الكبير سلطان باشا الأطرش إلى مصر راكبًا جراده.

- التصحيح : راكبًا جواده.

نشر في إحدى الصحف المصرية عام ١٩٥٧ ( المصري تقريبًا ) ثار السلطان باشا وغادر مصر عائدًا إلى سوريا.

• الرئيس المدمن يتضاءل بالبيض المحلي.

مانشيت لحوار مع الرئيس السادات في إحدى الصحف اللبنانية.

- التصحيح : الرئيس المؤمن يتفاءل بالبيض المحلي .

- أصدر الرئيس العاشق الولهان.

خبر في الأهرام دمج خطأ بين عنوان سياسي وعنوان أدبي وتسامح السادات بعد أن تفهّم الأمر .

- أضرب كلاب الجامعات في الإسكندرية من أجل تحقيق بعض المطالب .

*الأخبار*

- التصحيح : أضرب طلاب.

أدى الخبر إلى غضب الطلاب وعودتهم للإضراب مجددًا مما أثار الحكومة وذلك لأنها توصلت معهم إلى اتفاق لحل الإضراب الأول .

- الوزيرة حكمت أبو زيد تتبول في كفر الشيخ.

التصحيح : الوزيرة حكمت أبو زيد تتجول في كفر الشيخ.

*الأهرام*

- عورة وزير الأوقاف .

التصحيح : عودة وزير الأوقاف .

*الأهرام*

# المصادر

- المقالات نشرت في جريدة" المصريون" الإليكترونية من عام ٢٠٠٥ وحتى ٢٠١٠

- عبد الواحد الجنايني : معايشة في ميدان التحرير

- ليلة سقوط الرئيس :

مصادر خاصة داخل قصر العروبة رفضت ذكر اسمها ليس لأسباب سياسية ، ولكن لأسباب أخرى تتعلق بطبيعة العمل داخل القصر

- عادل حمودة جريدة الفجر

- برنامج اختراق التلفزيون المصري

- وكالة الإشيتدبرس

- جريدة الصنداي تليجراف البريطانية

- تويتر

# المؤلف في سطور

## سامي كمال الدين

- من مواليد ٨ مايو ١٩٧٨، محافظة قنا – جنوب مصر.
- درس بكلية الآداب قسم الصحافة بسوهاج، جامعة جنوب الوادي.
- تخرج عام ٢٠٠١، وعمل فى مجلة نصف الدنيا بمؤسسة الأهرام من ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣.
- يعمل صحافيًا بمؤسسة الأهرام (مجلة الأهرام العربي).
- مدير مكتب مجلة الدوحة في القاهرة.
- عمل رئيسًا لتحرير مجلة داون تاون، وهي مجلة شبابية تعنى بالقضايا المحلية وهموم الشباب ومشاكلهم.
- حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين المصرية عام ٢٠٠٣ عن كتابه عن الفنانة شادية الذي نشر مع مجلة نصف الدنيا.
- حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين لعام ٢٠٠٦ عن حواره مع السيناريست " وحيد حامد ".
- تم اختياره مع ٧٥ صحفياً من ٥٠٠ صحفي للمشاركة في الدورة الأولى لمؤسسة محمد حسنين هيكل، والتي أشرف عليها الصحفي الأمريكي الشهير سيمور هيرش.

• كما اجتاز الاختبارات في الدورة الثانية التي عقدها مؤسسة محمد حسنين هيكل، والتي عقدت لشهر كامل، وفاز مع ١٠ من زملائه الصحفيين من ٢٥ صحفياً بمنحة السفر إلى لندن .

• كتب في العديد من الصحف مثل المصري اليوم والكرامة، وجريدة " المصريون " .

• كتب فيلما تسجيليا عن الفنانة سامية جمال ودورها الفني والسياسي من إخراج سعيدة بو كمال في عام ٢٠٠٣ – مخرجة فرنسية من أصل جزائري – وإنتاج الكاتب خالد الخميسي، ويذاع في القناة الخامسة الفرنسية وتليفزيونات بريطانيا وإيطاليا واليونان وتركيا .

• مؤلفاته:

• "حوارات من جنوب الوطن المنسي " ويتضمن حوارات مع بعض كتاب وأدباء من جنوب مصر، طبعة خاصة، القاهرة، ١٩٩٧

• كتاب "أيام مع الولد الشقي" وهو ذكريات مع الكاتب الكبير محمود السعدني الطبعة الثانية عن كتاب اليوم، ط ١، كتاب التعاون، القاهرة، ٢٠٠٦ .

• "نزار قباني وروائع القصائد المغناة..أسرار وحكايا نجوم الفن مع نزار" عن دار الكتاب العربي، القاهرة – دمشق، ٢٠٠٥ .

• كتاب " الذين أضحكوا طوب الأرض " تناول فيه الكتابة الساخرة من ١٨٥٦ وحتى ٢٠٠٨ عن دار الكتاب العربي .

- كتاب "رسائل المشاهير" عن دار شادي زاهد ، ويحتوي على الرسائل الخاصة، والتي نشرت للمرة الأولى لـ"السادات ويوسف صديق وصلاح نصر وأمل دنقل وإحسان عبد القدوس وروز اليوسف وكامل الشناوي وأمين يوسف غراب ويوسف وهبي ومحمد كريم "، والطبعة الثانية عن دار شمس،القاهرة، ٢٠٠٩.
- " هيلتون " رواية، ط١، عن دار شمس، القاهرة، ٢٠١٠.

samykamaleldeen@yahoo.com
www.samikamaleldeen.com

## الفهـــــــرس